الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de L'enseignement Supérieur Et de la recherche scientifique
جامعة 8 ماي 1945 قالمة
Université 8 Mai 1945 Guelma
كليّـــة الآداب واللـغـــات
Faculté :des lettres et des langues
قسم اللغة والأدب العربي
Département Lettre et Langue arabes
الرقم:.....
N° .....

مذكرة مقدَّمة لنيل شهادة الماستـــــــــــر
(تخصص: أدب جزائري)

البديعيات: مضمونها ونظامها البلاغي
ديوان "جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين"
لابن الخلوف القسنطيني – نماذج مختارة–

مقدمة من قبل :
✍ الطالب (ة): زينب بن عيش
✍ الطالب (ة): إلهام حسني

تاريخ المناقشة : 23 جوان 2024

أمام اللجنة المشكلة من :

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	مؤسسة الانتماء
فوزية عساسلة	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة 8 ماي 1945
أسماء سوسي	أستاذ محاضر أ	مشرفا ومقررا	جامعة 8 ماي 1945
إبراهيم كربوش	أستاذ محاضر أ	مناقشا	جامعة 8 ماي 1945

السنة الجامعية: 2024/2023

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الأمين، بفضله أشرق نور الإيمان صلى الله عليه وسلم.

نتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذة الدكتورة الفاضلة "أسماء سوسي" على مرافقتنا في إنجاز هذا البحث والإشراف على كل جزء وخطوة من إنجاز، وتحملها معنا مشوار هذا البحث وإفادتنا في كل كبيرة وصغيرة دون هوادة لإتمام هذه الرسالة، وأدامها الله ذخرا لطالبي العلم وأدامها للعلم راية ونشكر كل من مد لنا يد العون من قريب أو من بعيد ونشكر كل أساتذة وعمال قسم اللغة والأدب العربي.

مقدمة

مقدمة

كان الشعر في الجاهلية علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه، وهو في الوقت ذاته سلاح يدافع به الشاعر عن قبيلته، ويرُد عنها العدوان، فلا غرابة في أن يفعل الشاعر ذلك في ظل الإسلام، ولا غرابة أيضا أن يعجب الشعراء بشخصية النبي ﷺ، فتغنوا بحبه، واتصل هذا الحب بعقيدة الشاعر الإسلامية، فكانت البديعيات باعتبارها تميزًا وتفردا في ميدان الشعر، وخاصة ما يتعلق منه بالمديح النبوي تحديدًا، إذ تعد تجديدًا وخروجا عن القصيدة التقليدية في بنية مضامينها، ونظامها البلاغي، ويُعدّ الشاعر الجزائري "ابن الخلوف القسنطيني"، من أبرز الشعراء الجزائريين الذين فنُوا في حب النبي ﷺ، وقد خلف فيه ديوانًا حميدًا، موسومًا ديوان "جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين" والذي وقع عليه اختيارنا موضوعًا للدراسة، وذلك من ناحية المضامين، وكذا النّظام البلاغي الذي تبنى عليه القصائد، فجاء موضوع البحث تحت عنوان: "البديعيات مضمونها ونظامها البلاغي، نماذج مختارة من ديوان "جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين "لابن الخلوف القسنطيني".

ومن الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع، هو ميولنا للشعر ورغبتنا في دراسة خباياه، والخوض في أسراره، وحب وفضول اكتشاف أهم الموضوعات التي تتناولها بديعيات الشاعر ابن الخلوف دلاليا وبلاغيا، وما حفزنا أكثر لاختيارنا له هو قلة الدراسات في هذا الموضوع، فهو جديد على الدراسات المعاصرة.

وقد حاولنا قدر الإمكان الإجابة عن بعض الاشكاليات المطروحة حول هذا الموضوع وهي:

- ما علاقة البديعيات بالتصوف، والمدائح النبوية، والمولديات؟.
- ومن أين تمتد نشأتها، وما المضامين التي تنطوي عليها؟
- كيف بني الشاعر "ابن الخلوف" بديعياته ونظامها البلاغي في مدونة "جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين"؟.

وككل دراسة لابد من وجود عراقيل وصعوبات اعترضتنا خلال موضوع بحثنا منها:

قلة الدراسات المنجزة حول موضوع البديعيات في ديوان الشاعر، وندرة المراجع المهتمة بذلك، وقد اعتمدت الدراسة على مجموعة من المراجع أهمها:

- البديعيات في الأدب العربي، نشأتها، تطورها، أثرها لعلي أبو زيد.
- المدائح النبوية في الأدب العربي، لزكي مبارك.
- المفصل في علوم البلاغة العربية، المعاني، البيان، البديع، لعيسى علي العاكوب.
- إضافة إلى دراسات سابقة في ديوان "جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين" "لابن الخلوف القسنطيني"، منها:
- بناء القصيدة في شعر ابن الخلوف القسنطيني –ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين أنموذجا، لجمال رقاب.
- البعد الديني في ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين لابن الخلوف القسنطيني، للطالبتين: أحلام شرماط، رميساء شرماط.
- رسالة ماجستير نورة بن سعد الله، البديعيات، مضمونها ونظامها البلاغي، بديعية ابن الخلوف أنموذجا.

وقد اعتمدنا في دراسة معاني البديعيات على المنهج الوصفي، وبعض آليات المنهج الأسلوبي، من خلال تسليط الضوء على الأنظمة الدلالية والبلاغية وعليه اقتضت طبيعة البحث أن يُقسم إلى فصلين تسبقهما مقدمة وتتلوهما خاتمة، أما المقدمة فتضمنت حديثنا عن الموضوع والمنهج المتبع فيه، وسبب اختياره، وجاء في الفصل الأول المعنون بـ "البديعيات مفاهيم ومصطلحات"، ليرصد علاقة البديعيات بكل من التصوف، والمدائح النبوية، والمولديات، كما تطرّق إلى البحث في جذورها، ومضامينها وأهم أعلامها.

أما في الفصل الثاني المعنون بـ "البديعيات مضمونها ونظامها البلاغي" ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين لابن الخلوف القسنطيني (نماذج مختارة)، فانقسم بدوره إلى مبحثين رئيسيين، حيث

تناول المبحث الأول منها الموضوعات الرئيسية الثلاث في بديعيات ابن الخلوف القسنطيني وهي براعة الاستهلال ومدح الرسول ﷺ، والدعاء والتضرع وهي موضوعات تنتظمها بنية القصيدة البديعية.

وخصص المبحث الثاني لدراسة الأنظمة البلاغية في البديعيات، وكيفية توظيف الشاعر لها لتبليغ هذه المضامين بطريقة جمالية، وذُيل البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج المتوصل إليها فيه.

وأخيرا لا يسعنا إلاّ أن نسدي جزيل الشكل، والاعتزاز بجميل أستاذتنا المشرفة الدكتورة "أسماء سوسي" على نصائحها القيمة وتوجيهاتها السديدة، وكذا تكرمها علينا بمنحنا من وقتها الثمين، وعلمها الوفير، فلولاها لما اكتمل هذا البحث الذي كان فكرة تخاطر الذهن إلى أن استوى بحثنا أكاديميًا، كما نُشير إلى أنّ الدراسة أو البحث في الموضوع لا يزال بكرًا، فهو ما يزال بحاجة ماسة إلى همم الباحثين والدارسين لاكتشاف جواهره، خاصة ممن يستهويهم التنقيب في الأدب الصوفي الجزائري، مواضيعه المتشعبة.

نسأل الله عز وجل أن نكون قد وفقنا إلى ما قصدناه من خلال هذه الدراسة، فإن اصبنا فمن الله، وإن قصرنا فمن أنفسنا.

الفصل الأول: البديعيات مفاهيم ومصطلحات

تمهيد:

1. البديعيات
   - أ. لغة
   - ب. اصطلاحا
2. البديعيات والتصوف
3. البديعيات والمدائح النبوية
4. البديعيات والمولديات
5. جذور البديعيات
6. مضمون البديعيات
7. أعلام البديعيات

تمهيد

كان الشعر ديوان العرب، حيث احتل مكانة مهمة في المجتمع العربي، فهو على حد قول عمر بن الخطاب: "علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه"[1]، ولا نكاد نعرف أمة من الأمم القديمة اهتمت بالشعر كما اهتم العرب، ويعد الشعر القديم أصلا من أصول فهم القرآن وتفسيره، على نحو قول "عباس رضي الله عنه":

- الشعر ديوان العرب، فإذا خُفي عليهم الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعوا إلى ديوانها فالتمسوا معرفة ذلك". [2].

وحين أتت الرسالة المحمدية، أتت مبشرة بعصر جديد، وفكر جديد، عصر يَعندُ بالعقل، وفكر لا يحاول يبهر الأبصار بخوارق الطبيعة، وإنما يُحاج بالكلمة الطيبة المقنعة، والكلمة هي أروع ما وهبه الله للإنسان.

فانبثق شعر مناصر للإسلام، شعرٌ يتضمن مديحا للرسول ﷺ للتغني بشمائله، وعبق سيره الحافلة العطرة، التي أذكت قرائح الشعراء، فاطلقت ألسنتهم تلهج بالمدح والثناء عليه، وتنافسوا في المديح تنافسًا كبيرًا، كان من نتائجه قصائد مدحية جديدة، من مولديات، وحجازيات، ونعاليات، وبديعيات هي موضوع بحثنا، إذ جاءت مطرزة بأحسن حلل البديع، موشاة بأجمل بيان، وأشرف معنى، حيث استوقفت الأدباء ببلاغتها، والنقاد بأسلوبها، وسحر بيانها، وحسن السبك، وجمال الصورة، لذلك وقع عليها اختيارنا موضوعا للدراسة في نماذج مختارة من مدونة "ابن الخلوف القسنطيني" جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين"، محاولين الوصول إلى تحديد مفهومها اللغوي والاصطلاحي، -الذي لم يحدد له تعريف دقيق- ثم علاقة البديعيات بالتصوف، والمدائح النبوية، والمولديات، لنتطرق بعد ذلك إلى مضمونها فجذورها وأهم أعلامها، على النحو الآتي:

---

[1]- ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، قرأه وشرحه محمود شاكر، دار المدين، جدة، د.ط، د.ت.

[2]- الحافظ جلال الدين السيوطي، الاوتقان في علوم القرآن، من إصدار وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والارشاد، المملكة العربية السعودية، ج1، د.ت، ص 347.

المفهوم اللغوي للبديعيات:

أ. المفهوم اللغوي

تعتبر اللغة العربية بحرًا واسعًا لا حدود له، فهي المنبع الصافي لكل من أراد أن يروي عطشه خاصة إذا تعلق الأمر بدراسة ظاهرة شعرية فنية جديدة وتعتبر البديعيات فنًا جديدًا في الشعر العربي لم يكن معروفًا من قبل، ولمعرفة دلالة البديعيات حاولنا البحث عن اشتقاقاتها بالعودة إلى أصل كلمة (بدع) في المعاجم، فقد جاء في "المعجم الوسيط":

- "بَدعَهُ – بدعًا: أنشأه على غير مثال سابق، فهو بديع.
- بدُعَ – بداعة وبدوعا: صار غاية في صفته خيرا كان أو شرا، فهو بديع.
- وأبدع: أتى بالبديع وأتى بالبدعة/ وبدعه: استخرجه وأحدثه"[1].

فالإبداع هو سمة الشاعر المبتكر والكاتب المقتدر.

وجاء في معجم مقاييس اللغة:

"بَدَعَ: الباء والدال والعين أصلان: أحدهما ابتداء الشيء وصنعه لا عن مثال، والآخر الانقطاع والكلال.

فالأول قولهم: أبدعت الشيء قولا وفعلا، إذا ابتدأته لا عن سابق مثال، والله بديع السماوات والأرض، والعرب تقول: ابتدع فلان الرّكيّ إذا استنبطه.

وفلان بدعٌ في الأمر قال الله تعالى: ﴿مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنْ الرُّسُلِ﴾[2]، أي ما كنت أول"[3]

---

[1]- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط مادة (ب د ع)، مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، ط4، 1989، ج1، ص43.

[2]- سورة الأحقاف، الآية 09.

[3]- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة العربية مادة (ب د ع)، تحقيق وضبط عبد السلام محمد الهارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1979م، ج1، ص209.

- وقد أورد "الزمخشري" في أساس البلاغة في مادة "ب د ع": أبدع الشيء، وابتدعه: اخترعه، وابتدع فلان هذه الرَكية، وسِقاءٌ بديعٌ: جديدٌ، ويقال: أبدعتِ الرِكاب إذا كَلّتْ، وحقيقته أنها جاءت بأمرٍ حادثٍ بديع، وأُبدعَ بالراكب إذا كلت راحلته، كما يُقال: انقطع به، وانكسر إذا انكسرت سفينته، ومن المجاز: أَبْدَعَتْ حُجتُك إذا ضَعُفت، وأبدع بي فلانٌ: إذا لم يكن عند ظنِك به في أمرٍ وثِقت به في كفايته وإصلاحِه" [1]. أي لم يكن عند الثقة المعطاة له لإتمام الأمر وكماله.

- وجاء في قاموس "المحيط" للفيروز أبادي عن مادة "ب د ع" قوله: "البديع المبتدع، وحبل ابتدئ فتله ولم يكن حبلاً، فنكث ثم غزل ثم أعيد فتله، والزق الجديد، ومنه الحديث أن تهامه كبديع العسل، والرجل السمين، والبِدع بالكسر: الأمر الذي يكون أولا، والبِدعة بالكسر الحديث في الدين بعد الإكمال، أو ما استحدث بعد النبي صلى الله عليه وسلم من الأهواء والأعمال، وأبدع الشاعر أتى بالبديع" [2].

- ونجد "ابن منظور" في لسان العرب يقول: "بُدع الشيء، بدعه بدعًا، وأبدعه، أنشأه وبدأه وبدع الركية: استنبطها وأحدثها، وركي بديع: حديث الحفو، والبديع، والبدع: الشيء الذي يكون أولا"[3].

والملاحظ هو أن كلمة "بديعية" لم ترد لهذه الصورة في المعاجم على اعتبار أنها مصطلح علمي فني ظهرت في القرن الثامن هجري، وما عثرنا عليه ما هو إلا كلمات مشتقة عن كلمة "بدع"، كما أنه لم يحدد تعريف لغوي واضح للبديعيات، ولم تحظ بدراسة معمقة من قبل النقاد والباحثين.

---

[1]- أبو القاسم محمود بن العمرين أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط1، 1998م، ج1، ص50.

[2]- الفيروز أبادي، القاموس المحيط مادة (ب د ع)، مكتب تح التراث في المؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط8، 1426هـ- 2005م، ص702.

[3]- ابن منظور، لسان العرب مادة (ب د ع)، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ-1994م، ج8، ص06.

أما من الناحية الاصطلاحية فقد عرف المصطلح عدت تعريفات كما يتضح فيما يلي:

ب.المفهوم الاصطلاحي

من الغريب في الأمر أننا لا نجد تعريفًا واضحًا لمصطلح البديعيات، هذا الفن الذي طرأ على فنون الشعر العربي، وشاع بين الشعراء على مختلف أرجاء الدول العربية الإسلامية، فقد تضاربت الآراء، والمفاهيم، واختلفت بخصوصه لذلك سنحاول فيما يأتي تسليط الضوء على آراء النقاد وموقفهم من هذا الفن.

ولعل أول من أطلق مصطلح (ديعية) هو "صفي الدين الحلي" حيث أطلقها على القصائد ذات الصفات المميزة، إذ سمّى بديعيته بـ: "الكافية البديعية في المدائح النبوية".

"فصفي الدين الحلي" يرسم معالم (البديعية) من خلال إعلانه عن مضمون قصيدته بقوله: فنظمت مئة وخمسة وأربعين بيتًا، من بحر البسيط، تشتمل على مئة وخمسين نوعا من محاسنه (أي البديع)... وجعلت كل بيت منها شاهدًا ومثالاً لذلك النوع. إذًا قوام البديعية عند الصفي الحلي:

أ- أن تكون قصيدة طويلة

ب- من بحر البسيط

ج- يشتمل كل بيت منها على نوع بديعي

د- كل هذا مضاف إلى المديح النبوي"[1].

وبعد أن رسخ هذا المصطلح في أذهان الناس، شاع وانتشر بين الشعراء الذي أصبحوا يستخدمونه، ويطلقونه على القصائد التي ينظمونها على طريق ومنوال هذا الفن، أمثال "ابن حجة الحموي"، فقد اكتفى بوضع الشروط التي يجب أن تتوفر في المقدمة الغزلية للبديعية والتي تنطبق على

[1]- علي أبو زيد، البديعيات في الأدب العربي نشأتها – تطورها- أثرها، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ-1983م، ص41.

جميع المدائح النبوية"[1]، كما أنه ربط بين مصطلح البديعية والبديع من خلال قوله: "إذا ما انتقلنا إلى القرنين الثامن والتاسع الهجريين، نجد أنهما قد امتازا بإيلاء العلماء والأدباء والشعراء علم البديع عناية ما بعدها عناية، إن لم نقل أنهم تفرغوا له، وجفّت قرائحهم إلا منه، وتميز بعض الشعراء والأدباء في هذين القرنين بنظم البديعيات التي تعتبر بحق دراسات في هذا المجال لا تكاد تعدوه"[2].

أما "محمود رزق سليم" فيرى أن البديعيات فن شعري جديد، بزغ نجمه، وتألق ضوئه في القرن الثامن الهجري، ويرى أن القصيدة البديعية: "منظومة يتوخى فيها الناظم أن يُضمّن كل بيت من أبياتها لونًا من ألوان البديع، أو أكثر، وهذه السمة الأولى الأصلية في كل بديعية"[3]، كما أنه أشار إلى هذا الفن بشكل معمق إذ يرى: "أنّ فن البديعيات صناعة فكرية أكثر منها صناعة أدبية، وهي ضرب من ضروب شعر حقائق العلوم والفنون، ذلك لأنه في جملة ما نظم فيه من القصائد يدور حول ذكر لونين من الحقائق، حقائق الاصباغ البديعية، وحقائق السيرة النبوية، ولا ننكر أن النزعة الدينية لها صلة بوجود هذا الفن"[4].

ويتضح من خلال التعريف السابق للبديعيات اصطلاحًا أنها القصائد التي تجمع بين ألوان بديعية، ومضمون ديني عميق، هو مدح الرسول صلى الله عليه وسلم والتغني بشمائله وكريم خصاله.

أمّا "الدكتور زكي مبارك" فقد وضع تعريفًا للبديعيات في كتابه "المدائح النبوية"، إذ يرى أن ابن جابر قد ابتكر فنًا جديدًا، "وهو يتحدث عن أثر البردة" فيقول: "إن ابن جابر قد شغل نفسه

---

[1]- علي أبو زيد، "البديعيات في الأدب العربي نشأتها، تطورها، أثرها"، ص41.

[2]- تقي الدين أبي بكر (ابن حجة الحموي)، خزانة الأدب وغاية الأرب، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط1، 1987م، ص08.

[3]- علي أبو زيد، "البديعيات في الأدب العربي نشأتها، تطورها، أثرها"، ص42.

[4]- محمود رزق سليم، عصر سلاطين المماليك، ونتاجه الأدبي والعلمي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1965م، ص177.

بمعارضة البردة، ولكن أي معارضة؟ لقد ابتكر فنًا جديدًا هو البديعيات، وذلك أن تكون القصيدة في مدح الرسول، ولكن كل بيت من أبياتها يشير إلى فن من فنون البديع"[1].

ولقد تميزت بديعية ابن جابر عن غيرها من البديعيات بميزتين ظاهرتين أما الأولى فإن ابن جابر قد فصل في بديعيته بين ألوان البديع اللفظية والمعنوية، ولم يخلط بينهما كما صنع أصحاب البديع جميعا، وأما الثانية فهي اقتصاره على أبواب البديع التي ذكرها الخطيب القزويني، وتنحية المسائل التي عرفت عنده وعند السكاكي باسم علم البيان"[2].

وقد تطرق "مصطفى الصاوي الجويني" إلى مصطلح البديعيات فيقول: "البديعية قصيدة مديح غالبا ما تكون في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وغالبا ما تكون على بحر البسيط، ومن قافية المتراكب، وروي الميم المكسورة، ويقوم على كل بيت منها على شاهدًا على الفن البديعي في لفظ البيت الذي يتضمن معناه"[3].

وقد امتاز تعريفه بالدقة، والوضوح واشتمل على شروط البديعية، أما فيما يتعلق بالمديح فهو لا يتوقف على مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد تكون في غيره كمديح عيسى مثلا، كما أنها قد تنظم على غير بحر البسيط.

وهذا ما نجده يتعارض مع تعريف "عبد الواحد حسن الشيخ" للبديعيات إذ يقول: "قصائد من البحر البسيط ميمية القافية غالبا، تعارض أصلا بردة البوصري التي أنشأها في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم"[4].

---

[1]- علي أبو زيد، "البديعيات في الأدب العربي نشأتها، تطورها، أثرها"، ص42.

[2]- ينظر: يحي بن المعطي، البديع في علم البديع، تحقيق ودراسة محمد مصطفى أبو شوارب، الكويت، ط1، 2014، ص22، 23.

[3]- المرجع نفسه، ص40.

[4]- عبد الواحد حسن الشيخ، دراسات في علم البديع، (د.ط)، 1990م – 2000م، ص10.

يعتبر القرنان الثامن والتاسع الهجريين أهم مرحلة في تاريخ النظم البديعي، وفيهما عرفت البديعيات تطورًا كبيرًا، هذا بعد أن بلغ ذروة نضجه في القرن السابع الهجري، وأوائل القرن الثامن الهجري.

أما "علي أبو زيد" فقد توخّى الدقة في تعريفه للبديعيات حيث يقول: "إنها قصيدة طويلة في مدح النبي محمد ﷺ على بحر البسيط، وروي الميم المكسورة يتضمن كل بيت من أبياتها من أنواع البديع، ويكون هذا البيت شاهدًا عليه، وربما وُري باسم النوع البديعي في البيت نفسه في بعض القصائد"[1].

وقد اختار الناظم بحر البسيط لسهولة الألفاظ فيه وسهولة حفظهما.

ومن خلال استعراضنا لهذه الآراء، والتعريفات لمصطلح البديعيات، يتضح لنا أنه لم يُحدد تعريف واضحٌ ومميزٌ لها على الرغم من انتشار هذا الفن، وسيرورته، ومعرفته إنما بقي متجاذبا بين كل من أراد أن يُلقي نظرة عليه.

ويمكن أن نستنتج مما سبق أن البديعية قصيدة تجمع بين فن البديع نظمًا (شكلاً) ومدح الرسول، والإشادة بخصاله مضمونا، حيث يشتمل كل بيت منها على لون من ألوان البديع الذي من شأنه أن يضفي الجانب الجمالي والفني والدلالي عليها، أضف إلى ذلك أن رونقها وجمالها لا يتم إلّا إذا كان مضمونها متعلق بمدح الرسول صلى الله عليه وسلم.

كما نجد أيضا "عبد الواحد حسن الشيخ" يشير إلى البديعيات بدقة إذ يقول: "قصائد من البحر البسيط ميمية القافية غالبا، تعارض أصلا بردة البوصري التي أنشأها في مدح الرسول ﷺ"

[1] – يمينة سعودي، المديح النبوي في الشعر الجزائري القديم، دراسة في المضامين والأشكال، أطروحة دكتوراه العلوم في الأدب العربي، جامعة البواقي، الجزائر، 2019م-2020م، ص165،

1. البديعيات والتصوف:

يعتبر التصوف من العلوم الحادثة في الحياة الإسلامية ذو وشائع مع البديعيات، وقد نشأ مصطلح التصوف أواخر القرن الثاني هجري، وكان طابعه حينئذ صوفيا، والدّعوة إلى الزهد، والتخلق بالأخلاق الفاضلة، وعُرِف أصحابه بالعُباد والزهاد، كما يعتبر التصوف جزءًا أساسيا من تراثنا العربي الإسلامي باحتوائه على وسائل بديعية، وهذا ما تنبه إليه القدماء والمحدثون ونستدل على ذلك بما قاله "سليمان حمودة" في كتابه "البلاغة العربية": "إنّ نمو وازدهار مثل هذه البديعيات جاء ثمرة طبيعية لنمو وازدهار التصوف الإسلامي فكرًا وسلوكًا في القرن السابع، نتيجة الظروف المؤلمة التي مرت بالمسلمين طوال القرنين السادس والسابع الهجريين من حملات أعداء المسلمين والتتار والصلبيين على قلب العالم العربي الإسلامي"[1]. والجدير بالذكر أنّ هذه الدّوافع والظروف القاسية مكنت من ازدهار التصوف وتطور البديعيات، وكانت تلك الدّوافع التي امتدت جذورها على التحريض ونشأة ونمو هذا الفن، إلاّ أن المسلمين والعالم العربي الإسلامي ساعد بصموده على استمرار رحلته في تراث الأمة.

"وعلى الرغم من التشابه الواضع في المعاني الصوفية والبديعية، إلا أنّنا نجد شيئا من عدم الوضوح أحيانا مع اتفاق حول المعالم الإسلامية، إذ نجد في البديعيات بعض المصطلحات الصوفية: التجريد، الالتفات، تجاهل المعارف، التسليم، الطرد...إلى غير ذلك[2].

ولعّل مرجع ذلك، تشابه العوامل التي أنشأت كليهما، ففي صدر الإسلام لم يكن في حاجة إلى أن تنشأ هذه الظاهرة، فالمسلمون جميعا أهل تقوى، وزهد، وعكوف على الطاعات، منقطعين لله تعالى [3].

---

[1]- سليمان حمودة، البلاغة العربية، دار المعارف، مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص33.

[2]- نورة بن سعد الله، البديعيات، مضمونها ونظامها البلاغي، بديعية ابن الخلوف أنموذجا، ص41.

[3]- صابر طعيمة، الصوفية معتقدا ومسلكا، عالم الكتب، الرياض ،السعودية، ط2، 1985م، ص27.

ثم تطور الأمر مع بداية القرن الثاني مع إقبال النّاس على الدّنيا، وأصبح التصوف بمعنى التقشف، والزهد، والإعراض فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال، والزهد ولبس الصوف، لكن مع بداية الانفتاح على التيارات والثقافات والأجنبية من هندية، وفارسية بدأ الانحراف، إذ برزت ظاهرة التصوف كتيار ديني منحرف في التناول الفكري، وممارسة العقيدة داخل المجتمع الإسلامي بعد مرحلة القرنين الثالث والرابع الهجريين[1].

وعلى الرغم من أن القرنين الثالث والرابع الهجريين يمثلان العصر الذهبي للتصوف، إلا أنّه تنوعت بعد ذلك المنابع، والاتجاهات الصوفية فأصبحت تشكل خطرًا على الفكر الإسلامي، والعقيدة وذلك لما شهده من انحرافات وانغماس المسلمين في الشهوات والملذات.

إلاّ أن التطورات التاريخية الحاصلة في حياة المسلمين التي تميزت بظهور البدع، أدت إلى ازدهار التصوف، وذلك نتيجة التشققات والانقسامات التي شهدها العالم الإسلامي، ثمّ إن البيئة الإسلامية حدثت فيها تغييرات وبرزت مذاهب، وتشكلت رؤى جديدة، فظاهرة التصوف مثلا والتي تعد غريبة عن الأصول الإسلامية "أحدثت سلبيات وانحرافات في السلوك أدت لظهور أجيال بعد ذلك في المجتمع الإسلامي، وهي معزولة تمامًا عن ثقافة دينها وعن العمل بأحكام كتاب ربّها، ومن هنا لم تستطع الصّمود أمام غزو الأفكار الوافدة، وما استتبعها بعد ذلك من غزو معظم ديار المسلمين"[2].

فالضعف قد أصاب كيان الأمة العربية بابتعادهم عن الدّين، وجعلهم صيدًا سهلا، ووفيرًا لباقي الأمم، إذ تزامن غزو الأفكّار مع غزّو الدّيار فكانت النتيجة احباطا وبأسا، وانكسارًا روحيا تولد عنه اضطراب وقلق، وتقوقع، وتراجع نحو الخلف، فجاءت بذلك محاولة التنفيس عن الذات المقهورة والحاجة إلى يد تمتد له فكان التوسل بصفي هذه الأمة" [3].

---

[1]- صابر طعيمة، الصوفية معتقدا ومسلكا، ص32.

[2]- المرجع نفسه، ص32.

[3]- عبد الله حمادي، دراسات في الأدب المغربي القديم، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط1، 1986، ص274.

إنه نوع من الهروب نحو الذات الأخرى التي تجسد المثل العليا، سواء في الصوفية أو البديعيات التي عبّرت عن ذلك التغير والانهزام في صورة بديعية، لكنها تحمل في طياتها رموزًا وإشارات غير مباشرة سياقية لهذا التمزق، فإن انعكف الصوفي إقبالاً لربه، فقد ابتعد الدّين بشططه، وتعدد طرائقه، ومذاهبه، ومن الملاحظ الاتفاق حول بعض المصطلحات، والرّموز كونهما متلازمان "وهو اللاوعي الجمعي، ومحاولة استحضار الثابت الغالب".

في خضم هذه الأحاسيس وما عايشه العرب من ظلم، وتعسف، واستبداد "نما أدب المتصوفة، وشهد القرن السابع أعظم أئمة هذا التصوف، أبو الحسن الشاذلي، أحمد البدوي، والبوصيري صاحب البردة، وقد كان لهؤلاء جميعا مشاركة فعالة في نهضة الأدب في عصرهم والارتقاء به، وانتشاله مما وقع فيه من مظاهر الانحطاط"[1].

وأفضل من مثّل هذا الفن، وارتقى به في تاريخ الشعر العربي ما نجده عند "شرف الدّين البوصيري" الذي يعد أحد الأقطاب البارزة للتصوف، ومعارضة قصيدته أنتجت ذلك الفن الرائع "البديعيات" مما يؤكد العلاقة الوطيدة بين التصوف والبديعيات، حيث نجد أن شعر المتصوفة والمدائح كانت البذرة التي هيأت لنمو هذا الفن فلا شك في ذلك، إذ إن شعر التصوف شعر روحي ميتافيزيقي وجداني تكسب فيه اللّغة أبعادًا وإيحاءات ودلالات رمزية تتجاوز دلالتها في غيره من أنماط الشعر الأخرى"[2].

وهذا ما نجده في البديعيات حيث تعد قصائدها الأيقونة الأساسية التي يحقق بها الشاعر تواصله الفني مع المتلقي من جانب وتفرده وتأكيد تميزه بوصفه ذات متعبدة من جانب آخر.

إذ تعتبر قصائد البديعيات من أجمل وأحسن القصائد في مدح الرسول الحبيب –عليه أفضل الصلاة والسلام–، كما أنها مقتبسة من أشعار الصوفية إذ يقول "زكي مبارك" في ذلك "أن البوصيري

---

[1]– سليمان حمودة، البلاغة العربية، ص331.

[2]– رمضان صدق، شعر عمر بن الفارض (دراسة أسلوبية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (د، ط)، 1998م، ص07.

استأنس عند نظمها بميمية "ابن الفارض" ودليل ذلك تشابه المطلعين فإنّ مطلع قصيد ابن الفارض والملقب "بسلطان العاشقين":[1].

هَلْ نَارُ ليلى بَدَتْ ليْلاً بِذِي سَلَم أم بَارِقٌ لاَحَ في الزَّوْرَاءِ فَالعَلَمِ

أما بالنسبة لمطلع قصيدة البوصيري التي نظمها على بحر البسيط ويقول فيها:[2].

أَمِنْ تَذَّكُرِ جيرانٍ بِذِي سَلَمٍ مَزَجَتْ دَمْعًا جَرَى من مُقْلَةٍ بِدَمِ

أَمْ هبّت الرِّيحُ من تلقاء كاظِمةٍ وَأَوْمَضَى البَرْقُ في الظّلْمَاءِ من إِضَمَ

فقد اشترك المطلعان في ذكر: ذو سلم – إيماض البرق، مع اشتراكهما في وزن وقافية واحدة، ثمّ يتابع البوصيري ابن الفارض في قوله:[3].

يا لائمًا لامني في حبِّهم سَفَهَا كُفَّ المَلاَمَ فَلَوْ أحْبَبتَ لَمْ تَلُمِ

فتابعه البوصيري بقوله :[4]

يا لاَئِمِي في الهَوى العُذْريّ مَعْذرةً مِنِي إليْكَ ولَوْ أَنْصفَتْ لمْ تَلُمِ

ومن هنا نلاحظ التشابه الواضح بين البيتين معنى ونظما، مما يؤكد أنّ هذا التناغم الوجداني منبعه واحد، "فتلك الفتن الدّاخلية المؤلمة فضلا عن الغزو الخارجي الشرس، أزكت في نفوس كثير من المسلمين مشاعر احتقار الدّنيا، واليأس منها، والزهد فيها، والاتجاه إلى الله، كما ألهبت في قلوبهم الشعور بالحزن، وهذه كلها أمور لا تبتعد كثيرًا عن التصوف[5].

---

[1]– ابن الفارض، ديوان ابن الفارض، دار صادر، بيروت، لبنان، (د، ط)، 1234م، ص128.

[2]– نظم شرف الدّين أبي عبد الله محمد بن سعد البوصيري، ديوان البوصيري، تحقيق ودراسة محمد سيد كيلاني، شركة مكتبة مطبعة مصطفى الباجلي وأولاده، مصر، ط1، 1955م، ص190.

[3]– ديوان ابن الفارض، ص129.

[4]– ديوان البوصيري، ص191.

[5]– رمضان صادق، شعر عمر بن الفارض (دراسة أسلوبية)، ص18.

إذن تبقى العلاقة متضافرة في حلقات دائرية معلقة، ففي الأدب تتوارد الأفكار وتنتج فنا جديدًا من قلب المعاناة، فلا يمكننا الجزم بأن ميمية ابن الفارض هي الدّافع لبردة البوصيري، فبردته تحتوي على عدة معاني: "ففي صدرها النسيب، ويليه التحذير من هوى النفس ثم مدح النبي والكلام عن مولده، ومعجزاته، ثم القرآن والإسراء والمعراج، والجهاد، ثمّ التوسل والمناجاة"[1].

وفي الأخير يمكن القول إنّ التّصوف والبديعيات كلاهما أثر أدبي صادق، فكلما كانت التجارب قاسية وموجعة، كان الابداع الشعري أجمل وأصدق، وأكثر تعبيرًا عن عمق المأساة.

2. البديعيات والمدائح النبوية:

بحلول القرن السابع الهجري وأوائل القرن الثامن الهجري، كان علم البديع قد بلغ ذروة نضجه وازدهاره، فاهتم به الشعراء، وتأثروا بما أنتجه البلاغيون من أنواع البديع، وعندما أوشك القرن السابع على الانتهاء تمخض عنه ظهور فن جديد هو فن البديعيات، والملاحظ في قصائد البديعيات ذلك التزاوج بين ألوان البديع، والمضمون الديني الذي يتمثل في السيرة النبوية ومدح الرسول، وإبراز فضله، ومكارمه في وشاحٍ بديعي، ومن هنا نجد أن هناك علاقة تداخل بين فني البديعيات والمديح النبوي.

فالمديح النبوي فن من فنون الشعر، ينصب على مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ويصدر عن قلوب مفعمة بالإيمان، عامرة بالصدق، يُعبر عن عواطف الشعراء النقية وأحاسيسهم الصافية، كما قال زكي مبارك: "فن من فنون الشعر التي أذاعها التصوف، فهي لون من التعبير عن العواطف الدينية، وباب من أبواب الأدب الرفيع، لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مُفعمة بالصدق والإخلاص"[2]، فهو بعيد كل البعد عن المدح التكسبي، لأنه موجه إلى أفضل خلق الله محمد ﷺ فهو شفيع الأمة، ونبراسها، ومخرجها من الظلمات إلى النور.

---

[1]- زكي مبارك، المدائح النبوية في الأدب العربي، منشورات المكتبة المصرية (صيدا، بيروت)، (د.ط)، (د.ت)، ص152.

[2]- المرجع نفسه، ص152.

"ويمكن أن نقول، ونجزم بوجود تلازم بين البديعيات والمدائح النبوية فالاتجاه واحد، والحلقات متصلة لا يمكن الفصل بينها، وكلٌ يقتبس نورانيته من الآخر، إذ يغدو التلاحم وهجًا شعريًا براقا، ويصير الشعر متلألئًا بتلك الصبغة الدينية ذات المعاني السامية، والراقية، حيث إن المدائح النبوية، لون من التعبير عن العواطف الدينية، وباب من الأدب الرفيع"[1].

فلقد أصبح المديح النبوي غرضا رئيسيا في الشعر العربي، وقد عُرف مدح الرسول ﷺ منذ صدر الإسلام وقد ضمت البديعيات هذا الغرض الشعري مُلونا بالعاطفة والاحساس والروحانية، وكانت دعوة خالصة لوحدة تحت راية دين واحد، لأن العرب كانوا "يعيشون قبل الإسلام في أطراف الأرض على نظام غريب، وأسلوب عجيب، عشائر، وقبال تتصادم وتتناحر، فلما ظهر النبي محمد صلى الله عليه وسلم دعا إلى وحدة العرب، واجتماعهم تحت دين واحد، وراية واحدة لينقذهم من فوضى تشل حياتهم، وحروب تستنفذ قوافهم"[2].

فالرسول هو البدر، والشمس، هو منقذ للبشرية، وقد أدت هذه الدعوة الإسلامية إلى اختلاف الآراء بين الشعراء، بين مصدق، ومكذب، وانبرى الشعراء يدافعون ويهاجمون "فأما المدافعون عن النبي ورسالته، فقد امتدحوا خصال النبي، وشمائله، وكان مديحهم أشبه بمديح الأجواد، والكرماء من رؤساء القبائل، ليس فيه ذكر للدين، والتقوى، والأخلاق"[3].

وبهذا فالشعر جاء مُدافعا عن العقيدة ومُمثلا لها من خلال الدعوة الإسلامية، ومن أبرز الشعراء "حسان بن ثابت" و"عبد الله بن رواحة"، "وكعب بن مالك"، "وكعب بن زهير"، حيث وقف هؤلاء يمدحون الرسول في صفاته، ومناقبه الحميدة، ونبل شخصيته الكريمة، "فقد كان النبي ﷺ يُمدح كما يُمْدَحُ الرؤساء المسيطرون في شعر الأعشى، وكعب بن زهير، ومدح بشيء من روح العطف،

---

[1]- نورة بن سعد الله، البديعيات مضمونها ونظامها البلاغي، ص38.

[2]- إميل ناصيف، أروع ما قيل في المديح، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1992م، ص24.

[3]- المرجع نفسه، ص24.

والحنان في شعر حسان، ومدح تدينًا في خطب علي بن أبي طالب، ودرج الشعراء بعد ذلك على الجمع بين مدحه، ومدح آل البيت"[1].

فالمديح النبوي، والتأليف البلاغي هما غاية سامية في البديعيات، فهي تتمحور أساسا حول مدح الرسول، وتصوير سيرته العطرة المنطوية على عظيم معجزاته، ونوادر كراماته، كما يمجّد فيها الشاعر انتصاراته، وبعدها يعرج على ذكر آله وصحبه، وشمائلهم، وكذلك ذكر الأماكن المقدسة، كل ذلك بأسلوب من الصنعة البديعية.

فالبديعيات إذا هي قصائد غرضها المديح النبوي وغايتها جمع ألوان البديع المختلفة فـ "صفي الدين الحلي ومن تبعه نهجوا نهجا جديدا في مدائحهم إذ طرّزوها بالبديع، وأسموها البديعيات، ضمّنوا كل بيت فيها نوعًا من البديع فجعلوها مديحا، ومتنا في علم البديع"[2]. فالبديعيات والمديح النبوي تجمع بينهما علاقة تغاير في الوسيلة وتحود في الهدف، فلا شك في أن البديعيات اقتبست وهجها ولمعانها من المديح النبوي، حتى وإن اكتست بحلة من ألوان البديع، إلا أن المدائح تمدّها بالعاطفة النبيلة، والأشواق الروحية.

أما إذا أردنا تحديد الفرق بين البديعيات والمدائح النبوية، فربما يكمن في أن البديعيات قصائد منظومة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم على بحر البسيط وعلى روي الميم المكسورة، أضاف أصحابها إلى شعرهم ألوان بديعية، حيث يذكر الشاعر في كل بيت فنا بديعيا، أضف إلى ذلك اتسامها بالطول حيث تتعدى المئة بيت في حين أن المدائح النبوية هي أيضا قصائد في مدح الرسول لكن دون أن تضاف لها ألوان البديع، حيث تتميز بصدق المشاعر، ونبل الأحاسيس، اتخذه الشعراء مجالا للإشادة بالرسول صلى الله عليه وسلم.

[1]- زكي مبارك، المدائح النبوية في الأدب العربي، ص57.

[2]- يمينة سعودي، المديح النبوي في الشعر الجزائري القديم، ص165.

فيبقى الموضوع واحدًا في كل من البديعيات والمدائح، ولو اختلفت طريقة التعبير بشكل أو بآخر-خاصة من الناحية الزخرفية- "فإن كان في المدائح النبوية، نوع من الاعتزاز والافتخار بل اعجاب بالفضيلة، وثناء على صاحبها، واهتزاز أمام النبل والأريحية واكبارًا للمروءة والشجاعة، ثم غدا فيما بعد تعبيرا عن العواطف الدينية، ونوعا من التقرب إلى الله بنشر محاسن الدين والثناء على شمائل الرسول، في حين أن البديعيات كانت حاجة نفسية، نوع من الحنين لأيام الازدهار، والأمن، والاستقرار تحت راية الدين الإسلامي، تعبير عما عاشه الإنسان العربي في ظل معاول الهدم والغزو"[1].

3. البديعيات والمولديات:

المولديات ظاهرة دينية باعتبار أنها تدخل في سياق تقدير النبي عليه الصلاة والسلام، وهي نوع من التقرب إلى حضرته بالصلاة عليه، باعتبار أن الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم هي من ركائز العقيدة الإسلامية ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[2]، فالمولديات أو الميلاديات هي تلك القصائد التي ينظمها أصحابها بمناسبة المولد النبوي الشريف، "وتحتوي على مدح الرسول ﷺ، تحت رعاية سلاطينهم، وبمساهمة العامة والخاصة، وشعراء البلاد وأدباء الأمصار الأخرى الوافدين على السلطان محتفلين بذكرى مولده"[3].

فهي مديح نبوي "يذكر فيها الشعراء أخلاق النبي، وغزواته، وكل ما يتعلق بسيرته، ويخلصون في النهاية إلى مديح السلطان الحاضر"[4]، فيعبر فيها الشاعر بصدق عن أحاسيس العظمة، والانبهار لصفات النبي الخُلقية والخَلْقية، ومعجزاته، والشوق لرؤياه، وزيارة قبره، والأماكن المقدسة المرتبطة

---

[1]- نورة سعد الله، البديعيات مضمونها ونظامها البلاغي، ص40.

[2]- سورة الأحزاب، الآية 56 .

[3]- فطيمة بوترعة وندى هرباجي، جماليات المكان في شعر المولديات، مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر، جامعة قالمة، ص28.

[4]- أحمد موساوي، المولديات في الأدب الجزائري القديم، عهد تلمسان الزيانية، موفم للنشر، 2008،

بحضرته، وأخذ المواعظ، والعبر، والصلاة عليه، وطلب الشفاعة منه، والتوسّل ليغفر الله، ثم يأتي بمدح السلطان وما كان له من انجازات خاصة بتحضيره للاحتفال بالمولد النبوي الشريف.

فمولد النبي صلى الله عليه وسلم هو أعظم مِنّة من الله عز وجل لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[1].

فالمولد النبوي الشريف إطلالة للرحمة الإلاهية بالنسبة للتاريخ البشري جميعه، فقد وصف القرآن الكريم النبي صلى الله عليه وسلم بأنه رحمة للعاملين، وهذه الرحمة لم تكن محدودة، فهي تشمل تربية البشر وتوجيههم نحو الطريق الصحيح.

فنبي الأمة قد أرسى دعائم حضارة إسلامية قوية، لم تضاهيها أي حضارة، وكان إشعاعًا، ومنبعًا للمد الروحي، والفكري "وقد شكل الاحتفال بمولد الرسول الكريم حافزًا كبيرا لنظم الشعر، ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم، والحديث عن مولده عليه الصلاة والسلام، ونشأته، وشمائله وغزواته والتشوق إلى زيارة قبره، مما أدى إلى ظهور ظاهرة أدبية أو فن أدبي جديد اسمه شعر المولديات والذي يعتبر شكلا من الأشكال الشعرية المميزة"[2].

"وإن تفردت المولديات بإحيائها لذكرى أنبل الخلق، الذي يجسد ميلاده منعرجًا تاريخيا لم تعرفه الأمة العربية عبر تاريخها الأثيل، فإن ما تحمله من سير ومغاز ومعجزات هو أشبه ما تحمله المدائح النبوية من معاني دينية وسير، بل حتى البديعيات، باعتبارها ماء نبع من المدائح، كلّ هذا تحت ظلال حُب إلاهي، وشعلة إيمانية مُتوهجة، إذ تتكرر الألفاظ من ثم المعاني، فتأتي في قالب واحد، حيث يستهل الشاعر قصيدته بذكر الأحبة، وما يعانيه من اشتياق وحنين، ثم يبين أن أحبته يقطنون البقاع المقدسة وإنه يود اللحاق بهم، ولن يتحقق ذلك إلاّ بالوقوف أمام قبر الرسول صلى الله عليه وسلم،

[1]- آل عمران، الآية 164.

[2]- خداوي أسماء، البنى الأسلوبية في مولديات أبو حمو موسى الثاني، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة وهران، ص46.

فيسخر الشاعر كل طاقاته الابداعية في مدحه صلى الله عليه وسلم، ثم يعرب عن ندمه، وأسفه طلبًا الشفاعة بالدعاء والتضرع"[1].

أما إذا تعلق الأمر بالبناء الفني، فإنه لابد من الانتقاء المناسب للأدوات الفنية التي يلبسها الشاعر من روحه، وموافقه، ورؤاه، ما يجعلها كفيلة أداء المعنى، وتوصيل الفكرة، لأن هذه المواقف التي يَمُرُّ بها الشاعر في مولدياته تثبت دورها الأساسي في صياغة اللغة الشعرية وانتقاء المفردات والمعجم، من خلال تحكم الشاعر في التوظيف انطلاقا من طبيعة الكلمات ومناسبتها لأفكاره، وما يختلج في نفسه. يقول "لخضر عيكوس": "عني المغاربة بفن المديح، وذلك بإبداعهم في المولديات، والذي لم يكن فن البديعيات إلا صدى له، وعن تميز عنه بتعمده الإغراق في الصنعة اللفظية، إضافة إلى عناية المشارقة بدراسة المصطلح البديعي، ولوعهم بضبط حدوده العلمية، والاصطلاحية بلغة أقرب إلى لغة العلم منها إلى لغة الأدب، كما بدعت النزعة التحليلية لفنون البديع، والاهتمام بالتفريعات، والتقسيمات واستخراج الفروع من الأصول، واستنباط الأحكام، والقوانين عندهم أكثر جلاء بحيث شكلت أساس منهجهم في تعاملهم مع الظاهرة البديعية"[2].

من هنا يمكن القول إذًا، إنّ البديعيات هي نوع من أنواع المولديات، غير أنها فائقة الجمال من حيث أشكالها التعبيرية، وذلك بما تحتويه من تجديد فني، وبما تقتضيه لطاقة أكبر لصور، وألوان البديع "فإن كانت البديعيات مزيجا من البردة أو المولديات أو المدائح أو قصائد التصوف، بالنسج على منوالها، فلا يمكن أن نذكر أبدًا أن العمل الفني وإن كانت فيه محاكاة فهو بحاجة إلى تجويد وإضفاء نوع من الجدة"[3].

---

[1]- نورة بن سعد الله، البديعيات مضمونها، ونظامها البلاغي، ص54.

[2]- لخضر عيكوس، ظاهرة البديع في الشعر العربي (دراسة في المصطلح والوظيفة)، أطروحة دكتوراه الدولة، جامعة قسنطينة، 1995، ص24.

[3]- نورة بن سعد الله، البديعيات، مضمونها ونضامها البلاغي، ص56.

4. جذور البديعيات:

الشعر التعليمي قديم، يهدف إلى حفظ تراث الأمة ونتاجها العلمي، وقد عرف هذا النظم الهنود واليونانيون، ونظم الرومان العلوم أيضا، فقد نظم فيرجليوس قصيدة الزراعيات، ونجد عند الفرس قصيدة تسمى الكاتا ومعناها الأغاني المقدمة، وتشتمل على أدعية وأخلاقيات، وقد كان العصر المملوكي عصرًا ذهبيا لنظم العلوم عند العرب على نحو ما ذكره "محمود رزق سليم".

فالمنظومات منحوتة من العقل، ولم تمتزج بالعاطفة، أما البديعيات فقد ضمت الغرض الشعري ملونا بالعاطفة، والإحساس، والروحانية إلى جانب الغرض التعليمي، فهي مرحلة وسط بين الشعر المليء بالعاطفة والنظم الخالي منها.

ومن الصعب تحديد الزمن الذي ظهرت فيه، فهناك من يرى أن ميلادها كان في القرن الثامن الهجري، وتناسلت لها قصائد بديعية خلال العصور الإسلامية حتى هذا اليوم، بينما نجد "محمد علي سلطاني" يرى بأن قصائد المديح بدأ ظهورها حوالي منتصف القرن السابع هجري أي أنها تنسب إلى البصير صاحب البردة، حيث انتشرت هذه القصيدة انتشارًا منقطع النظير، وحاول كثير من الشعراء مُجاراتها والنسج على منوالها، ومنه ظهر شعراء البديعيات في عصر المماليك سنة (670هـ) "وعلى اعتبار أن هذا الفن ابتكر في عصر المماليك فمن المنطق أن يكون تداخل وتواشج، فالأديب بن بيئته، حيث اتجه كثير من الشعراء إلى نظم هذه المعارف والأفكار العلمية، واخراجها في قصائد تطول أو تقصر، وتزويدها بما ينبغي للأساليب العلمية أن تزوّد به، فنظموا في الفقه، والمواريث، والأحكام المختلفة، وفي النحو والبلاغة، والعروض، والتاريخ، وغيرها"[1].

وقد تميز الأدب في العصر المملوكي بالضعف والانحطاط، حيث لحقت بالأمة العربية الإسلامية خسارة كبيرة على يد المغول، فقد "قضى "هولاكو" وجيوش على كل معاقل الحضارة، وألقى بالكتب في مياه نهر دجلة حتى تغير لون المياه لكثرة ما ألقي فيها، وقيل: إنه أقام بكتب العلم ثلاثة

[1] – نورة بن سعد الله، البديعيات، مضمونها ونضامها البلاغي، ص30.

جسور على نهر دجلة"[1]، وهكذا ساد اللأمن، واليأس والضعف والظلم، وفقد الإنسان العربي مكانته كرامته.

وعلى الرغم من انصراف بعض السلاطين والأمراء عن الشعر والشعراء بحكم أنهم أعاجم لا يفهمون العربية لا يتذوقونها –كما يروج لذلك– وهذا أمر مردود إذ لا يعقل أن يكونوا كذلك، وقد جعلوها اللغة الرسمية لذلك لدولتهم، ثم إن اهتمامهم بالدين الإسلامي يفرض عليهم الاهتمام بلغة هذا الدين، فقد استمر نهر الشعر العربي دفاقًا، وحافظ الشعر على مكانته في نفوس الناس"[2].

ثم إن كثيرًا من الشعراء، والأدباء، والعلماء كان لديهم ميل لنظم الشعر منذ الصغر، وبحكم ثقافة العصر كان لزاما أن يسلكوا دروب العلم، ويتخصصوا فيه، ولكنهم لم ينسوا الشعر، وهو موهبة حبيبة إلى نفس صاحبها أثيرة عنده، لا يطاوعه قلبه على هجرها، ولا التجافي عنها، بل هو يعود إليها بين الفينة والفينة يستروح لنفسه ويستلهم خياله ويخلو إلى أحاسيسه[3].

ولعل من الأسباب التي أدت إلى ازدهار العلوم، وكثرة العلماء، والشعراء، والكتاب في هذا العصر:

- هجر العلماء والأدباء إلى مصر والشام من شرق العالم الإسلامي هربًا من زحف التتار على بغداد، ومن غربه هربًا من جحافل الصلبيين.
- الاستقرار الأمني الذي شهدته مصر والشام في عصر المماليك.

[1]– العايش سعدوني، قراءة في فن البديعيات في النص الشعري المملوكي، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، العدد02، مجلد12، 2020، ص02.

[2]– المرجع نفسه، ص02.

[3]– ينظر: نورة بن سعد الله، البديعيات مضمونها ونظامها البلاغي، ص31.

– الاتجاه الديني السائد في البلاد، وكذا الانتصارات التي تحققت على أعداء الأمة العربية والإسلامية، ولذلك راج المديح الذي يمجد البطولات ويُحرض على الجهاد في سبيل الله، وتغنى الشعراء ابتهاجًا بتلك الانتصارات على التتار والصليبيين[1].

لذلك يمكن أن نعتبر هذه الأسباب البذور الأولى التي أَرست دعائم هذا الفن، ذلك أن العصر المملوكي هو عصر تمويه، وزخرف، مما أدى إلى انعكاس "ذلك على أساليب الشعر، وأوزانه، وأصبحت الألوان البديعية من أهم دعائمها استجابة لروح العصر، وأصبح همّ كثير من الشعراء إظهار تورية، أو طباق أو مقابلة، أو جناس أو براعة استهلال، أو تضمين، أو نحو ذلك"[2].

وبهذا انبثق فن البديعيات والذي يعتبر وليد العناية بالبديع، والذي يعتبر المقياس الدقيق لإبداع الشعراء، تتضمنها قصائد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم.

"فعن طريق البديعيات تتم الإحالة على الماضي، والعالم الآخر، وفضائه بالوقوف أمام قبر الرسول ﷺ ، وزيادة دياره، حيث نشأت وانتشرت الدعوة الإسلامية، إنها رغبة مُلحة للتوبة، والعودة إلى فضاءات النبوة، البيت العتيق، كل ذلك يتجلّى في فن المدح البسيط، الذي صبغ بمعنى أعمق وأكثر روعة وشجونا عندما لم يكن إلا مدح الرسول سراج العالم، وشعور الأدباء بالإحباط، وعدم إيجاد التوازن الذاتي في ظل اضطراب الحياة وصراعها، جعلهم يبحثون عنه في الشعر بالذات – البديعيات– وكذا التضرع الروحي في شخصية الرسول ﷺ "[3].

فالتصدع الذي حدث في العالم الإسلامي نتج عنه انعكاف روحي، وتقهقر نحو الداخل، فقد ضاقت سبل الحياة بالشاعر ولم يجد متنفسًا إلاّ في لغته، فكان فن البديع حيث ظهر في وشاح بديعي عبر عن الاضطراب والقلق الذي كان يعيشه الشاعر، حيث أن العلاقة تبقى وطيدة بين حالة

[1]– ينظر: العايش سعدوني، قراءة في فن البديعيات في النص الشعر المملوكي، ص03.

[2]– المرجع نفسه، ص04.

[3]– نورة بن سعد الله، البديعيات مضمونها ونظامها البلاغي، ص30.

الشاعر، والرغبة في التأليف البديعي، وذلك بسبب حالة العصر الذي يسوده الصراع، والقلق، حيث نشأت البديعيات، وترعرعت بين أحضانه، فكانت ترجمة تلك التغيرات في كيان الأمة، وروح أبنائها. كما أنها كانت حاجة نفسية، ونوعا من الحنين لأيام الازدهار، والأمن والاستقرار تحت راية الدين الإسلامي.

"إذ الدافع الأول للالتفات إلى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم كان مبعثه هذه الخيبة الملفوفة في ثوب الهزيمة، إن البديعية وإن بدت بحلة جميلة من الألوان البديعية، فإنها تبقى جامدة، ما لم تمدها المدحة النبوية من عواطفها النبيلة، وأشواقها الروحية، وذكريات ماضيها الزاهر"[1].

وبهذا يعتبر فن البديعيات فنًا جديدًا "لكننا لا نعدم نماذج كثيرة جيدة تسير على النماذج التقليدية في مختلف عصور الشعر منذ الجاهلية وحتى العصر العباسي، بل إن بعض الشعراء كانوا يعمدون إلى قصائد بينها ذات شهرة فيحتذونها معارضين أو مقلدين"[2].

فمثلا قصائد "اللامية" لكعب بن زهير لاقت إقبالاً من الشعراء، فكان هناك من يعارضها، وهناك من يحتذي حذوها، "لم تزل الشعراء من ذلك الوقت إلى الآن ينسجون على منوالها ويقتدون بأقوالها تبركا بما أنشدت بين يديه، ونسب مدحها إليه"[3].

فالقبول والمعارضة يفتح آفاقا نحو التجديد، والحوار والجدل، حيث تختلف الرؤى، وتتشعب الأفكار، ويحاول كل طرف التفوق في تنويعها، "فكان الشعراء يتبارون فيما بينهم إذ تربط بينهم روابط مودة وصداقة فيعبرون عن مشاعرهم وعواطفهم بواسطة الشعر، إذ احتدمت المنافسة بينهم، وكان ولوعهم بالبديع وصناعته تكأة كبيرة، أذكت بينهم عوامل المنافسة الأدبية، ومحاولة الإجادة، وكان الحال أنه ما من خاطر من خواطرهم يقع على معنى أو فكرة أو تشبيه أو كلمة تصلح أن

[1]- العايش سعدوني، قراءة في فن البديعيات في النص الشعري المملوكي، ص06.

[2]- نورة بن سعد الله، البديعيات مضمونها ونظامها البلاغي، ص32.

[3]- زكي مبارك، المدائح النبوية، ص26.

تسبك في قالب من قوالبه، حتى يتسابق بل حتى يتواثب إليها كثير من الشعراء، ويتلقفونها في لهفة وعجلة، وينظمونه في أبيات أو مقطوعة"[1].

إذا كان من نتاج المعارضة ظهور البديعيات، فانطلق الشعراء يتنافسون في احتذائها، والسير على سننها، مما فتح الباب واسعًا للتجديد والابتكار في غرض المديح النبوي، وأثار الشعراء بينهم ثائرة المنافسات الأدبية فكانت حافزًا آخر من حوافز شاعريتهم.

فالبديعيات تُعد فنًا جديدًا، حاجة نفسية، نوعا من الحنين لأيام الازدهار، والأمن والاستقرار تحت راية الدين الإسلامي، انبثقت من تفاعل مجموعة قضايا أو عوامل، فهي لم تأت هكذا على غرة بل لها جذور عميقة تتصل بالمجتمع، وما يعتمل فيه من حياة وما يضُج من مناحيه من أفكار وفلسفات[2].

5. مضمون البديعات

نسج أصحاب البديعيات قصائدهم في مدح رسول الله ﷺ، لنيل الشفاعة يوم لا ينفع مال ولا بنون، فجاءت مدائحهم النبوية مختلفة، نظرًا للقلاقل والاضطرابات التي عاشوها، وخاصة الإحباط واليأس، فكانوا بحاجة ماسة للعودة للأصل، فلا حياة لروح أي إنسان إلاّ بحُب الله تعالى ورسوله الكريم، وذكر سيرة العطرة.

فالغاية سامية من وراء المديح، حين يتألف هذا الأخير من التأليف البلاغي، فالقارئ لها ينبهر بأنواع البديع الواردة فيها حتى إنه "يتوهم أنها منظومات في فنون البديع، وهي في الواقع ليست كذلك بل إنها توظف البديع لخدمة غرضها الأسمى، وهو تجديد الصلة بشفيع الأنام وآله وصحابته

[1]- نورة سعد الله، البديعيات النشأة والمضمون -ابن خلوف أنموذجا-، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية، العدد32، جوان 2015م، ص72.

[2]- نورة بن سعد الله، البديعيات مضمونها ونظامها البلاغي، ص35.

الكرام، الذين سكنوا البقيع، وأَنَاخُوا بسلمٍ، وهي الأماكن المقدسة التي طالما تغنى بها البديعيون وتلذذوا بذكرها على ألسنتهم"[1].

فالبديعيات بمعناها الدقيق: "هي مديح النبي محمد ﷺ وأصحابه الأبرار، وهي غاية روحية، وغرض شعري معروف، ومع ذلك تعداد أنواع البديع التي حصلت عند ناظم البديعية، وهي غرض علمي ... ذلك أن البديعيات كانت بالإضافة إلى مضمونها العلمي تقصد إلى التعبير عن غرض شعري هو المديح، وخاصة حين يكون هذا المديح نبويًا، فإن مشاعر التألف والشوق قد تغلب على الشاعر فتقترب القصيدة أشد ما يكون الاقتراب في ميدان الشعر"[2].

فهي تجمع بين غايتين ساميتين، المديح النبوي والتأليف البلاغي، ثمّ إن البديعيات تسير على نمط واحد، كما يقول "لخضر عيكوس" : "وكل بديعية لابد أن تشمل ثلاث أقسام رئيسية، يتمحور الأول حول ذكر الأماكن المقدسة، والديار العامرة بأطياف الأحبة، الذين سافروا وتركوا الشاعر يشكو ألم الفراق، ولوعة الصّد والهجران، في القسم الثاني يمدح الشاعر الرسول ﷺ، فيصور سيرته العطرة المنطوية على عظيم معجزاته، ونوادر كراماته، كما يمجد انتصاراته، ويعرّج على ذكر آله وصحبه، وشمائلهم كلّ ذلك بأسلوب من النصعة البديعية"[3].

أما القسم الثالث: فعادة ما يكون دعاء تؤمل شفاعته يوم لا ينفع مال ولا بنون، فقد كانت البداية بالنسب ظاهرة بارزة وجزءً مهمًا في قصيدة المديح، حيث يستهلها الشاعر بذكر الأحبة وما يعانيه من ألم البعد، فهم في البقاع المقدسة يود اللحاق بهم، لكن سبل الوصل انقطعت، فما عليه إلاّ أن يمدها من خلال مدح الرسول ﷺ، وذكر خصاله وسيرته ومعجزاته، وإظهار الشوق لرؤيته، وزيارة الأماكن المقدسة، مما يؤكد على انشغال فكر، وعقل الإنسان الحي، وتواصله بالكائن

---

[1]- نورة بن سعد الله، البديعيات النشأة والمضمون، ابن الخلوف أنموذجا، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية، العدد 30 جوان 2015م، جامعة باتنة، ص75.

[2]- علي أبو زيد، البديعيات في الأدب العربي (نشأتها، تطورها، أثرها)، ص 47، 48.

[3]- لخضر عيكوس، ظاهرة البديع في الشعر العربي، (دراسة في المصطلح الوظيفة)، رسالة درجة دكتوراه الدولة، جامعة قسنطينة، 1991، نقلا عن رسالة الأستاذة.

الميت الحي محمد ﷺ، ويسترسل الشاعر في طلب الشفاعة والغفران، يوم لا ينفع مال ولا بنون، فلا سبيل للحياة والنجاح إلا بهذا الفن البديعي المدحي.

ويمكن القول: إنّ مدح الرسول كان بمثابة همزة وصل التي ربطت بين شعراء المديح والغاية التي يود كل شاعر الوصول إليها، هذا ما أشارت إليه "نورة بن سعد الله" "فالبديعيات قصائد منظومة في مدح الرسول ﷺ، فهي تجربة شعرية متميزة في نسيج لغوي مختلف لما تضمنته من روافد، ومنابع ثقافية خاصة، ومن حيث الموضوع لا تخرج عن كونها قصائد في المديح، ولكنّه مديح خاصّ يتوسل به صاحبه لنيل هبات الممدوح، وعطاياه، لكن ليس من جوائز غنية تمتلئ بها خزائن الملوك والخلفاء، والأمراء في قصورهم الفاخرة، التي يتمسح المادح ببلاطها... ولكنه مديح يرجو صاحبه، يتوسّل، ويشكو، ويبكي، لنيل شفاعة تخلّصه يوم القيامة من سعير جهنم، وهذا مطلب عزيز وغاية بعيدة لا يصل إليها مؤمن تقي أحسن صنعًا في حياته الدّنيا ولم يفرط في حب الله ..."[1].

ففن البديعيات دَامَ لفترة طويلة، وفتح المجال للكثير من الشعراء للتعبير عن انفعالاتهم، فهو إنتاج أدبي كبير فبالرغم من عدم تطوره في وقته إلا أنه وجد عدة عوامل وارهاصات ساعدت على ظهوره وتطوره، فهذا الفن كان عاملا أساسيا على ازدهار، وارتقاء الشعر شكلا ومضمونا.

6. أعلام البديعيات:

من الملاحظ أن الأدباء والشعراء قد اهتموا بالبديعيات منذ القدم وكانت محطة اهتمامهم، فهي تتم عن ثقافة الشاعر، وبها يتميز عن باقي البديعيات، وذلك لاستيعابها نصوصا مختلفة، وترجمتها للوضع السائد، وقد فتحت البديعيات المجال الواسع أمام الشعراء للتعبير عن انفعالاتهم ومواهبهم، لهذا لابد من الإشارة إلى أهم أعلام هذا الفن من خلال الدراسة القيمة التي قام بها "علي أبو بوزيد" فقد توصل إلى عدد لا يستهان به من البديعيات –واحد وتسعون– رغم ذلك لا يمكننا الإحاطة بهذا الفن من جميع جوانبه ومعرفة كل أعلامه وذلك لتشعبه لقول علي أبو زيد: "بل أكاد أزعم أن بعضا

[1] – نورة بن سعد الله، البديعيات النشأة والمضمون، ص75.

منها بقي متناثرًا بعيدا عن معرفتي لم أستطع العثور عليه، لا لفتور في همتي لكن لعدم إمكانية حصر هذا الفن ضمن نطاق واحد أو مجموعة من الكتب لانعدام الدراسات حول هذا الفن، فمازالت إمكانية وجود بديعية قائمة في كل كتاب تبحث في نطاق العصر المملوكي وما بعده، ومع ذلك فإن مجموع ما وصلت إليه من البديعيات نصوصا وأخبارًا، بلغ إحدى وتسعين بديعة مؤكدة، إضافة إلى اثنتين منهما تحتاجان إلى إثبات"[1].

ومن خلال هذه الدراسة سنحاول الوقوف على أهم أعلام البديعيات والبداية ستكون مع:

1- الكافية البديعية: وهي أول بديعية مكتملة في تاريخ البديعيات، نظمها عبد العزيز سرايا بن علي السنبسي، "صفي الدين الحلي"، شاعر عصره المتقدم، وصاحب المنظوم والمنتور والمحاكاة والتآليف الكثيرة المتنوعة[2] ومطلع بديعيته:

إن جئت سلعًا فَسلْ عن جيرة العلم وافي السلام على عُرب بذي سلم[3].

وُلد الشاعر "صفي الدين الحلي" في الجلة بين الكوفة وبغداد سنة 677هـ ونشأ فيها ثم ارتحل تاجرًا بين الشام ومصر وماردين وغيرها من مدن الدولة آنذاك، وقد طرق معظم فنون الشعر، وقال من الأوزان المولدة، في التسطير والتخميس، وهو أول من نظم القصائد النبوية الجامعة لأنواع البديع المسماة بالبديعيات، وكان شعره سهل اللفظ، جيد الأسلوب وقد يعده بعض الأدباء أشعر شعراء عصره[4].

2- بديعية الموصلي: ناظمها "علي بن الحُسين بن علي بن أبي بكر عز الدين الموصلي" وهو من شعراء القرن الثامن الهجري المشهورين، عارف بالأدب أقام بحلب مدة، وجمع ديوان شعره في مجلد، "استنَّ الموصلي في بديعيته سنة جديدة في فن البديعيات، ذلك أنه لم يكتف بتضمين

---

[1]- علي أبو زيد، البديعيات في الأدب العربي (نشأتها، تطورها، أثرها)، ص70-71.

[2]- المرجع نفسه، ص71.

[3]- المرجع نفسه، ص73.

[4]- المرجع نفسه، ص72.

البيت نوعا من أنواع البديع، وجعله شاهدا عليه، بل التزم تسمية ذلك النوع أيضا ضمن البيت، وبذلك يكون أول من أضاف جديدا إلى البديعيات، وهذا ما حمل صاحب "الصبغ البديعي" على وضعه في الطور الثالث من البديعيات[1] ومطلع بديعيته:

براعتي تستهلُ الدمعَ في العَلِـــم عبارة عن نداء المفـــرد العلـــم[2].

ومما جاء في قوله في الاستطراد:

يَسْتَطْرِدُ الشوق خَيلٌ الدَمِع سابقه فيفضل السُحبَ فضل العرب للعجم[3].

وقال في الطباق:

أبكي فيضحك عن دُرٍ مُطابقــةً حتى تشابه منثـــور بمنتظـــم [4].

3- من بين الأعلام أيضا: عائشة بن يوسف بن أحمد الباعوني، أم عبد الوهاب وهي أدبية وعالمة، وأحد أفراد الدهور ونوادر الزمان فضلا وأدبًا وعلما وشعرًا، لها حضوة ومكانة، وأجيزت بالإفتاء والتدريس، توفيت سنة 922هـ، بدمشق، لها بديعتين: الأولى "بديع البديع في مدح الشفيع"، ومطلعها:

في حُسْنِ مَطلِع أقصارٍ بذي سَلَمِ أصبحتُ في زُهرة العُشاقِ كالعلمِ[5].

وقد بلغ عدد أبياتها 127 بيتًا وتحتوي على 129 نوعًا من أنواع البديع

أما بديعيتها الثانية فهي "الفتح المبين في مدح الأمين"، ومطلعها:

---

[1]- علي أبو زيد، البديعيات في الأدب العربي ، ص78.

[2]- المرجع نفسه، ص78.

[3]- المرجع نفسه، ص78.

[4]- المرجع نفسه، ص79.

[5]- المرجع نفسه، ص103

عن مُبتدأ خَبَرِ الجَرعاءِ من إِظمَ حَدَثْ ولا تنسَ ذِكرَ البانِ والعلمِ[1].

وقد بلغ عدد أبياتها 144 بيتًا، وضمت 144 نوعًا من أنواع البديع.

4- بديعية سمات الأسحار في مدح النبي المختار: "للشيخ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي" المتوفي سنة 1143هـ، وهو شاعر مولع بالبديع، له مؤلفات مختلفة، حيث نحى منحى صفي الدين وعائشة الباعونية ومطلع هذه البديعية:

يا منزل الركب بين البان فالعلم من سفح كاظمة حييت بالديم[2].

وله بديعية أخرى مطلعها:

يا حسن مطلع من أهوى بذي سلم بارعة الشوق في استهلالها ألمي [3].

وهي بديعية على منوال عز الدين الموصلي وتقي الدين بن حجة.

5- بديعية لـ محمد ناظم الملتقي، وهي بديعية مخالفة، جاء رويها على اللام المكسورة ومطلعها:

بِحَيّهِم حَيّهم باب السلام فلي به بدور وراء الحُجْبِ في حُلَلِ[4].

والواضح من هذا المطلع ابتعاده عن التورية، وله شرح سماه: "تحفة الأدباء وتسلية الغرباء".

6- بديعية: مواهب البديع في علم البديع لأحمد بن محمد بن عبد الرحمن الحميري المعروف بـ ابن الخلوف، -وهو موضوع دراستنا-، عالم وأديب ولد بقسنطينة في الجزائر سنة 829هـ، أخذ العلوم والفنون من علماء عصره، وحافظ للقرآن الكريم ومطلع بديعيته:

أَمِنْ هوى من نوى بالبان والعلِم هَلَّتْ برَاعةُ مُزْنِ الدمع كالعَنَم [5].

---

[1]- علي أبو زيد، البديعيات في الأدب العربي، ص102.

[2]- المرجع نفسه، ص68.

[3]- المرجع نفسه، ص68.

[4]- المرجع نفسه، ص123.

[5]- المرجع نفسه، ص98

7- بديعية: رشحات صدر من يسبي العذار ونفحات، مدح في النبي المختار لمصطفى بن كمال الدين بن علي البكري وهو عالم متوصف وشاعر أديب، ولد في دمشق وتوفي بمصر 1162هـ،

ومطلع بديعيته:

للحَيَّ سِرْ تَلْقِي رَكْبَ البَانِ والعَلَمِ جَازُوا السّوَى ثُمَ حَازُوا رتبة العَلَمِ[1].

وقد بلغت أبياتها 150 بيتا وفيها 155 نوعا بديعيا.

ومن خلال بحثنا عن أعلام البديعيات، نصل إلى العصر الحديث، حيث نلتقي بعلماء آخرين، من أشهرهم البيروني والساعاتي.

فالبيروتي شاعر لبناني ولد ببيروت ونشأ فيها، حافظ للقرآن الكريم وهو أديب وشعار وله مؤلفات عديدة، ومطلع بديعيته:

من العُذيب وذِكْرِ البَانِ والعَلَمِ تحْلو براعة شِعري دَائمًا بفمي [2].

وقد لقيت هذه البديعية عناية فائقة من مصطفى بن عبد الوهاب الصلاحي الذي شرحها شرحًا مطولا حافلا بكل مفيد وجيد وأطلق عليه: نخبة البديع في مدح الشفيع.

أما الساعاتي فهو محمود صفوت بن مصطفى آغا الزيلة، وهو أديب مصري، وكان يهوى العمل بالساعات، وديوان الساعاتي مطبوع، له فيه قصيدة بديعية في مدح الرسول تبلغ 142 بيتًا، التزم فيها تسمية أنواع البديع، وأستهلها بقوله:

سَفحُ الدُموع لذِكْر السَفْحِ والعلم أبدى البراعة في استهلاله بدم[3].

---

[1]- علي بن أبي زيد، البديعيات في الأدب العربي ، ص132

[2]- المرجع نفسه، ص147.

[3]- عبد العزيز عتيق، علم البديع، ص71.

ولعل الشيخ "طاهر الجزائري" المتوفي سنة 1341 للهجرة، هو آخر من عرف بتعاطي هذا الفن، فقد نظم قصيدة بديعية وضع لها شرحًا أطلق عليه اسم بديعية التلخيص وتلخيص البديع[1].

وإن امتدت البديعيات عبر قرون عدة حتى العصر الحديث فإنها تجسد بصورة أو بأخرى تفوق لغتنا العربية بما فيها من تأثير جمالي وإبلاغي غير أننا لا نعدم بعض الشطط في شكلها البديعي والتهافت اللامشروط نحوها.

[1]- عبد العزيز عتيق، علم البديع، ص71.

الفصل الثاني:

مضمون البديعيات ونظامها البلاغي في ديوان ابن الخلوف نماذج مختارة

تمهيد:

المبحث الأول: مضامين البديعيات

1. **براعة الاستهلال**
2. **مدح الرسول صلى الله عليه وسلم**
3. **الدعاء والتضرع**

المبحث الثاني: النظام البلاغي

1. **البديع**

- **المطابقة**
- **الجناس**
- **الموازنة والمماثلة**
- **الترديد**
- **العكس والتديل**
- **التصريع**
- **الترصيع**

2. **البيان**

- **الاستعارة**
- **التشبيه**
- **الكنياية**

تمهيد:

المديح فن من فنون الشعر الغنائي، يقوم على عاطفة الإعجاب، كما أنه يعتبر من أهم الأغراض الشعرية الرئيسية التي نظم فيها الشعراء قصائدهم أضف إلى ذلك أنه من أقدم الفنون الأدبية التي عرفتها الشعوب البدائية، فمنذ فجر التاريخ أحسّ الإنسان بالفوارق الاجتماعية بينه وبين أخيه الإنسان، فسعى إلى إرضاء من هم فوقه والوقوف موقف احترام تجاههم، أما المديح الذي بين أيدينا، فهو غير المدح الذي اعتدنا عليه مع شعراء الجاهلية، وإنما ينصّبُ على مدح رسول الإسلام "محمد بن عبد الله" أشرف العرب، وهذا ما سنحاول الوقوف عليه من خلال دراستنا لنماذج شعرية من "ديوان جنى الجنتين في مديح خير الفرقتين" للشاعر الجزائري "سيدي لخضر بن الخلوف القسنطيني" في ديوانه يتعطرُ بمدائح شعرية خاصة تجاه نبينا المصطفى تلك الروح الأبدية التي ستظل فتنة العقول والقلوب والتي أثارت في نفس الشاعر رُوح الإكبار، والتقدير، والاحترام، والتعظيم، فكانت قصائد الديوان تتنوع بين مضامين الغزل، المدح بذكر صفات الممدوح، وتعظيم الله، وما يتعلق بهذه السيرة العطرة من ذكر للأنبياء، والرسل، وصحابته من التابعين وآل بيته، فضلا عن مواضيع الدعاء والتضرع التي انتظمت نهاية البديعيات وشكّلت براعة الختم فيها.

كما اجتهدنا في كشف ما تعمله تلك القصائد في ثناياها من ألوان بديعية، وظواهر بلاغية؛ لأن الشاعر قد غَذَى شعره بمختلف الجماليات البديعية، وأساليب تعبيره بالبلاغة العربية، وهذا ما سنحاول التفصيل فيه في الفصل الثاني من المذكرة الذي يحمل عنوان مضمون البديعيات ونظامها البلاغي في نماذج مختارة من ديوان ابن الخلوف القسنطيني.

أولا: مضامين البديعيات:

نَسَجَ ابن الخلوف بديعياته في مدح خير البرية، خير خلق الله رسول الله ﷺ، تيمُنًا وتبركًا بسيرته العطرة، فجاءت مضامينها متكونة من ثلاث محطات رئيسية لتشكل عرض البديعية.

1. براعة الاستهلال:

مطلع القصيدة أو بدايتها هو الوسيلة المثلى للولوج إلى رحابها، والشاعر المجيد من يتمكن من صياغة بدايات القصائد والأبيات صياغة جيدة، تجذب النفوس، من خلال خصائص كل كلمة وسحرها وقرعها في الأسماع، وممن تفنن في مطالع قصائده، ونوع فيها نجد الشاعر الجزائري "ابن الخلوف القسنطيني" في ديوانه "جنى الجنتين في مديح خير الفرقتين"

فكان منها ما هو غزلي، ومنها ما هو دعاء وتضرع، ومقدمات التغني بالطبيعة، ومنها ما هو ذكر للأماكن المقدسة.

أ. المقدمة الغزلية:

يعتبر الغزل تجسيد للعاطفة والحب، وصورة عاطفية عميقة، وتُعد المقدمة الغزلية، من المقدمات الواسعة الانتشار على حد قول "حسين عطوان" في تعريفه للمقدمة الغزلية: "فقد افتتح الشعراء الجاهليون قصائد كثيرة بالمقدمة الغزلية، وتتألف هذه المقدمة من الحديث عن صدّ المحبوبة وهجرها، أو بعدها وانفصالها، وما يُخلفه البعد، والهجر، والفراق من تعلق شديد، وشوق مستبد، ودموع غزار يسكبها الشاعر حسرة، وألما، ولهفة، وسرعان ما نفذ على خاطره أيامه الماضية السّعيدة، وذكرياته الحلوة الجميلة، حين كان يلتقي بمحبوبته ويبوح كلٌ منهما لصاحبه بحبه، وتبادله إعجابًا بإعجاب، وشوقاً بشوق، حتى إذا ما انتهى من ذلك مضى يصف محاسنها، ومفاتن جسدها، وهو وصف التفتوا فيه إلى المحاسن الجسدية، أكثر من التفاتهم للمحاسن المعنوية..."[1].

[1]- حسين عطوان، مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، (د.ط)، 1984م، ص129.

فالمقدمة الغزلية تعتبر من أهم المقدمات التي يفتتح بها الشعراء قصائدهم سواء في العصر الجاهلي أو العصور الموالية له، تفيض بعواطف الحب والشوق إلى رؤية المحبوب.

غير أنا نجد شاعرنا "ابن الخلوف" في ديوانه "جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين" ربط بين المقدمة الغزلية، وغرض المدح النبوي، فقد اكتسبت ثوبًا جديدًا مختلفا عن ثوب الغزل في مقدمات قصائد الشعراء الجاهليون، فهي وثيقة الصلة بالعواطف الدينية النابعة من حب الرسول ﷺ، يصور من خلالها الشاعر النفس الحزينة، وما اضفاه عليها الفراق والبعد من ألم، إنه غزلٌ مُوجه للحبيب المصطفى ﷺ شفيع الأمة، حبيب الله، ولذلك فالمقدمة فهي تختلف اختلافا واضحا من الغزل التقليدي، الذي يصور بكاء العاشق وعدم صبره، وسهر الليالي في انتظار طيف الحبيب.

فالمقدمة الغزلية عند شاعرنا، منزهة عن الحب البشري في ماديته وفحش ألفاظه، كونه مرتبط بالقدوة، بإمام الأولين والآخرين رسول الله ﷺ.

يقول الشاعر في مقدمة قصيدته "مزية المستمطر وصرخة المنتصر"[1].

أَضْرَمَ الوجدُ فِي الحشاشة نارَا إذْ رأى الدمع في المحاجرِ فارَا

وسَرى النوم عنْ أعينِي بليْلٍ حينَ قالوا صدَّ الحبيبُ وسارَا

سَارَ عنِي وما وجدتُ اصطبارَ مَا احتيالِي ومَا أجْدلِي اصطبارَا؟!

طَيَر العقلَ ثم قصَّ جُناحِي وَقصى منزلاً وشطَّ مزارًا

وأذاب الحشَا وصعّدَ دمعًا لَمْ يَزدْهُ الصُعُد إلاّ اِنْحدارَا

وقضَى بالغَرَامِ رَغْمَا وَمنْ ذَا يَا فُؤادِي يُعَانِدُ الأقدارَا

ويحَ قلبِي وَويح كُلّ مُحِبَّ فَقَد العَيْنِ فاقتفَى الآثارَا

[1]– ابن الخلوف القسنطيني، ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين، تحقيق: العربي دحو، دار المعية للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، ط3، 2014م، ص183.

يَرْقُبُ النَجْمَ فِي الظلَامَ وَمَهْمَا لَمَعَ البَرْقُ فِي الظلامِ اسْتطارَا

فحال الشاعر ابن الخلوف كحال العاشق الذي يُعاني آلام الغرام والفراق عن حبيبته، حيث وصف لنا النار المتأججة بداخله، نفذ الصبر شوقًا لرؤيته الحبيب، فصار يسهر الليالي، ويَعُدُ النجوم في الظلام، بعد أن غاب وسار عنه النوم.

فهذه الأبيات ترجمة عمّا يختلجُ في ذات الشاعر من عواطف وأحاسيس تجاه محبوبه المصطفى الأمين.

يقول الشاعر في موضع آخر من ديوانه متغزلا بسيدنا محمد ﷺ واصفًا جماله الحسّي في مقدمة قصيدته: "تحية المشتاق وتنجية الأشواق"[1]

لِمُرسِلِ الصَدْغِ في خَديْهِ آيَاتٍ قَامَتْ بِتصْديقِ دَعوَاهُ الأدِلَاتِ

وَلْلعُذَارَى حَدِيثٍ صَحَ مُسْنَده إِذَ خَرْجتَه عَنْ الخد الرِوَايَاتِ

وللجَيْش هِلَالٌ تم نِيْرهٌ لِمَا أَحَاطته للأَصْدَاغِ هَالاَتٍ

وللثنايا عَذُيب لاَحَ بَارقهٌ يا من رَأَى البَرْقُ تُبْدِيه الثَنَايَاتِ

وللحَوَاجِبِ نُونَاتٍ مُعَرِقة لها مِنْ خَال أَنْ أَعْجَمت نُقطات

وللَوَاحِظِ كُراتِ يَفَرّ لَها كَذَلِكَ الحَرْبُ كُرَات وُفْراتِ

وللمَعاطِفِ أَفنَانٌ فُنيت بها وَهَكذا السَمْرُ فِيهُنَ المنِيَاتِ

مَلِيك حُسْن تراءى فَوقَ وِجْنَتِهِ لُيلٌ وصُبْحٌ وَنيرَان وجَنَاتِ.

يبين الشاعر لنا من خلال الأبيات أن الرسول قد تميز بصفات تميزه عن بقية البشر، وقد تفرّد بها في خلقته، مثل: بريق الأسنان من خلال لفظة (الثنايا) وكذلك دقة الحواجب التي شبهها فهي النون لشدة تقوسها (للحواجب نونات)، أما عيونه فهي شديدة الملاحظة، قوية النظر، من خلال لفظة (اللواحظ).

[1]- ديوان ابن الخلوف، ص315.

والقارئ لهذه الأبيات للوهلة الأولى يعتبر أن هذا الغزل موجه لمحبوبة الشاعر، غير أن الشاعر قد اختص بهذا الغزل سيدنا الحبيب محمد عليه الصلاة والسلام، وهذا من خلال لفظة (حديث صح مسنده) وذلك لاختصاصه بالحديث النبوي الشريف، أضف إلى ذلك تشبهه بالهلال الذي ينير جيشه، فهو قائدٌ للجيوش الإسلامية في مختلف الغزوات والفتوحات الإسلامية، من أجل نشر الرسالة المحمدية والدين الإسلامي.

وفي موضع آخر نجد غلبة روح الحنين والشوق التي تطوّق الشاعر لرؤية محبوبه، ذلك أن المقدمة الغزلية، مناجاة روحية، تعبر عن مدى قوة وصمود الشاعر، فياضة بالشوق، متوهجة بالتطلع لزيارة حبيب الله.

يقول الشاعر[1].

لِشَاهدِ الدَمْعُ بالتَجْريحِ تعديلُ وَمَا لِجَفْنِي يَحْلُو النَومُ تَعْسيلُ

وللهَوى حَاكِمُ قَاضٍ عليَّ قَضَى وَمَا بِهِ قَدْ قضى واللهُ مقبُولُ

قَضَى بِسَفْكِ دَمِي فِي الحُبِ مُحْتكَمَا أَمَا دَرَى أَنَهُ عَنْ ذَاكَ مَسْؤولُ

يَا لَيْتَ لَوْ صَانَه كَيْمَا أَشَاهِدُهُ وَهْلْ يُصَانُ دَمٌ فِي الحُبِ مَطْلُولُ

فالقارئ لهذه الأبيات يرى أنها عبارة عن مرآة عاكسة لنفسية الشاعر "ابن الخلوف" حين صوّرت كل ما يعانيه من ألم، وحزن، وحرمان، ونار أوقدت واشتعلت جوارحه، مما يجسّد كل معاني الحب، والشوق للمحبوب شفيع الأمة، ونبراسها.

والمتصفح لديوان "ابن الخلوف" يلاحظ كثيرًا من المقدمات الغزلية، التي تفرّد بها الشاعر، وجد فيها متنفس للتعبير عن مكنون ذاته المناجية لحب كبير لا يضاهيه حب، ومصورة لمعاناة النفس المعذّبة، وما تعانيه من ألم الفراق والشوق إلى رؤية المحبوب، فهي إذا لوحات فنية مناسبة لقصيدة

[1]- ديوان ابن الخلوف، ص137.

المديح النبوي لما فيها من عمق نفسي وبُعد عاطفي، وخيرُ مثال على هذا قول الشاعر في هذه الأبيات:[1]

نَأْر شَوْقِي وَهْوُل يَوْمَ بَعَادي شَيَّبَا في الهوَى رَضِيعَ فُؤادي

إِنَّ يَوْمَ البِعَادِ يومٌ طويلٌ قصْرُ اللهِ عُمرُ يَوْمَ البِعَادِ

فَرِيًّا رَائِدَ الهنَا فَبِقَلْبِي لَفحْتُ حَرْبُ دَاحِس الأنكَادِ

أَقْطَعُ الليلُ والنهارُ كئيبًا بَيْنَ شَوْق مُبرِّحٍ وسُهادِ

فسروري وسلوتي في انتقاض وغرامي ووشحتي في ازدياد

فسُروري وسُلوتي في ٱنتقاضٍ وغَرَامي وَوحْشتِي فِي ازْديادٍ

بأبهى الاستهلالات، فيحشد كل ما من شأنه أن يشوق المتلقي لأنه يمثل الانطباع الأول في النص تمهيدا لصلب القصيدة وكون إنّ "ابن الخلوف" من الشعراء المتمكنين من ناصية القريض وله باع طويل في المدائح نجده قد اهتم كثيرا بمطالع مدائحه النبوية فوردت لديه أنساقا من المقدمات لا تبتعد كثيرا عما هو معروف في قصائد المديح النبوي منذ العصور الإسلامية.

ب. مقدمات الدّعاء والتضرع لله تعالى:

وقد غلب على مثل هذه المقدمات عند "ابن الخلوف القسنطيني" طابع الحمد والتسبيح لله تعالى، وقد احتلت جزءً كبيرًا من قصائد الديوان، فنجد الشاعر يستهل القصيدة منها بالتوحيد إلى الله تعالى ومناجيا بصدق مستعطفا إياه، طامعًا في المغفرة، طالبا التوبة كما في مطلع قصيدته: "عليك توكلي".

[1]- ديوان ابن الخلوف، ص471.

حيث يقول: [1]

عليكَ توكّلي ولك افتقاري ومنك تطليبي وبك انتصاري

وفيك محبتي وإليك أمْري وهَلْ إلاك قصدي واختباري

أيا ملك الملوك ولا مليك سِوَى عَبْد بِبَابك خُذْ بثَاري

ويل ديَّان يوم الدّين سَهَّل طريق هدايتي وأقل عثاري

ويا بَاري الورى طُرًّا أنِلْنِي مقامات الرِّضى وأقم مناري

يتوجه الشاعر في مقدمة هذه القصيدة إلى الله تعالى متوكلا عليه، مبديًا فقره وحاجته إلى مغفرته تعالى، مبرزا حاجاته النفسية والرّوحية إلى الهداية، ونيل الرضا من الحق –جل وعلا– لأنّه يشعر بمصير سيء ينتظره، ويترصده، إن لم يغسل ذنوبه وخطاياه، فهو يحس أن العمر طرق آخر سنونه، وخطّ المشيب دجى شبابه، ويشعر بأوجاع نفسه تدفعه إلى اللجوء إلى الله تعالى مسبحا إياه، طالبا المدد تفريجا عن القلب ودفعًا لبلائه، ويواصل الشاعر توسلاته وتسبيحاته، ومناجاته لله تعالى في لغة رقيقة نابعة من نفس متعلقة بالله تعالى، وعاطفة تنفجر حبًّا ووفاء للخلق، والملاحظ على هذه المقدمات كثيرة أساليب النّداء، وتواليها وتكرارها على مدى عدة أبيات في المقدمة، إلى جانب طابع الدّعاء، وكأنّه في محراب الصّلاة، حيث يرسل النّداء تلو الآخر لرفع المعاناة، وتصريف بلوى النفس في الدّنيا، وتكفيرًا عن الذنوب ومحو الأخطاء، طمعا في نيل رضى الحق جل وعلا، فالهدف من هذه التسابيح والمناجاة والرغبة الشديدة في الترقي بالنفس، وتطهيرها بما يليق وجلال الله تعالى.

ولعل ما يلفت انتباهنا عند "ابن الخلوف" تفرده بمطالع القصائد التي نلمس من خلالها مقدمات الدعاء والتضرع إلى الله عز وجل، وهذا ما نجده أيضا في قصيدة له بعنوان "شفاء الناظر" التي كان مطلعها[2].

---

[1]– ديوان ابن الخلوف، ص79.

[2]– المصدر نفسه، ص439.

يا مَنْ إليهِ مآل أمر النّاس حقق رجا المضطر قبل البأس

يا بّر الله يا رباه يا غوثاه من نكس ومن ارتكاسي

يا راحم العبد الحقير، وجابر العظم الكسير ومنشئ الإحساس

استهل الشاعر في مطلع قصيدته بالنداء، والغرض منه الدّعاء، والتضرع، والتوجه إلى الله تعالى مجيب دعوة المضطرين، وغواث المكروبين، فهو يمجد الله تعالى، ويثني عليه ثناء يليق بعظمته وجلاله، واستهلال ابن الخلوف قصيدته بالنداء، وتكراره تكرارًا عموديا في بداية كل بيت منها يدل على أنّ النداء دعاء، والدّعاء ظاهرهُ عبادة، وباطنه حقيقة مؤلمة، ونفس منكسرة، راغبة، راهبة، ويكاد يكون النداء الأسلوب الغالب على المقدمات المدحية لدى "ابن الخلوف"، وغرضه منه الالتماس والرّجاء، والدّعاء والتضرع.

وقد لعب تكرار أسلوب النداء دورًا جماليا مهمًا لافتًا للانتباه في مطالع القصائد وثناياها خاصة مع تكراره، وتواتره عبر جل قصائده باختلاف مطالعها وهو ما جعلها تبحث عن الغاية الجمالية التي خدمها، حيث خدم عدة غايات جمالية تفيض بالمعنى، فقد اتسمت مقدمات قصائده بمعاني كثيرة، كالأسى والتحسر والبكاء، كما قد ترد للعظيم التقديس وغيرها...

وهناك نوع آخر من المقدمات التي برع فيها "ابن الخلوف" دون غيره من الشعراء وهي: مقدمات التغني بالطبيعة فقد تطرق الشاعر في مقدمات قصائده إلى كل الموضوعات التي تحمل صدق العاطفة ودفئ الإحساس، فمن مناجاة الخالق والتضرع إليه، نقف الآن على مطالع الارتقاء في أحضان الطبيعة واستشعار جمال المصور فيها، وروعة إبداعه سبحانه وتعالى، فالطبيعة بمناظرها الساحرة الآسرة كانت أيضا محطة انطلقت منا عدد لا بأس به من قصائد "ابن الخلوف" في ديوانه

المتميز فقد استهل قصائده بجمال وروعة بيته، وهي تصطنع بطلال وألوان ساحرة، تتنفس بجو عطر يزيد من بهائها وجمالها وهذا ما نجده في مطالع قصيدته "الدّر النظم في السّرّ العظيم"[1].

تغنوا على العود الطّير وهيمنوا فلذّ معا لمٌ فيه تغنوا، وزمزموا

وصلى إلى الرّوض القضيب سلما فيا حبذا منه المصلي المسلم

وترجم على سرّ الرّبا صامت الشّذى فيا طيْبَ ما أبدى الصّموت المترجم

فمطلع هذه القصيدة تفوح منه رائحة الأزهار وعبقها وكأنّ الشاعر يهيم في جو من الخضرة، والألوان، وفضاء من الروض والبساتين التي تشاطر فرحه، ودهشته بجمال وجد الرّسول ﷺ وجلالته العظيمة، حيث اسقط الحواس البشرية على الطبيعة ومكوناتها الحية، فهي تبتسم، وتضحك، طربا بجمال الرسول ﷺ، فمظاهر الفتنة الطبيعية تلك تبعث الانبهار، والدّهشة في النفوس وانعكس ذلك في شعره بشكل عميق، حيث ازدحمت صور متنوعة ملونة تمثل البيئة الساحرة التي يعيش فيها.

يحظر أيضا هذا النوع من المقدمات في مطلع قصيدة "ابن الخلوف" المعنونة بـ "زهرة المتنشق وزهرة المتعشق" يقول فيها: [2]

سل الأفق من أبدى النجوم به زهراء وأجرى بفيض الدمع في دوحه نهرَا

ومدّ يراع القطب من فوق دلوه وجدَد في لوح الدُّجى أَحرف الشِعْرَا

ومِن ناطَ بالبَدر الثَريا مشْنفَا ورسْمَ الثريَّا أنَّها تكنِفُ البدْرَا

وأَوْرَدَ دهم اللَّيْل بحرَ نهاره وأرصدها شهبا محجبة غرًا

[1]- ديوان ابن الخلوف، ص227.

[2]- المصدر نفسه، ص297.

وهكذا عدّت الطبيعة رافدًا مهمًا في المدائح النبوية، فهي أقرب إلى لوحة فنية ناطقة، بحيث تصف اللوحة والشوق للحبيب، وخصوصًا إذا ما ذكر الشاعر ما يتعلق بعناصرها من الماء، والنهر، والدّلو، والشراب، فإذا كان الماء غاية كل شيء فذكره ﷺ بمثابة امتلاك لتلك الغاية، وحيازتها والتلذذ بها.

والملاحظ لديوان "ابن الخلوف" نجد معجم الطبيعة طاغيا في مدائحه وهي الحقل الذي تتفجر منه شاعريته، وفي أرجائه يطوف خياله، إنّها كائن حي يحبها، وتحبه، يناجيها وتناجيه.

حيث يفتتح "ابن الخلوف" قصائده في هذا النوع بمقدمة تعبر عن شوقه وولعه بزيارة تلك الأماكن المقدسة التي مرّ بها سيّد الخلق لعله بذلك يحقق الصلة، ويثبت الانتماء، ويجدد العهد بالنبي الكريم، وهي مقدّمات ترمز إلى حب الرّسول الحبيب، حيث تنبع بالحنين والشوق إلى تلك الديار، التي شهدت مولد، ومواحل حياته ﷺ، ووقائع نشر الرّسالة المحمدية، وهي تتزامن مع رؤية قوافل الحجاج ذهابا وإيابا من وإلى الأراضي المقدسة، ويتجلى ذلك في قصيدة الشاعر: "تطفل المحتاج بمدح ذي المعراج" والتي يقول فيها[1]

أهنأ برؤية قبر طه المرسل للخلق من قِبل الإله المرسل

والزم مديح جنابه بتوسل واقصد موائد فضله بتطفل

واعلم بأنك واردٌ بحر الندى فامدد يديك بدلو فقرك وانهل

فابن الخلوف في هذه القصيدة يستفتحها بتصوير مدى شوقه وحنينه إلى رؤية قبر الرّسول ﷺ التي تجلب السعادة والهناء، ولكنه لا يلتزم على مدى الأبيات بالحديث عن الأماكن المقدسة لأن مقدمات القصائد تكاد لا تستقل بموضوع واحد بل كثيرًا ما تتفرد بأبيات معدودة ثمّ تتداخل موضوعات أخرى لترافقها حتى يصل الشاعر إلى غرضه الذي هو المديح النبوي.

[1]- ديوان ابن الخلوف، ص163.

وقد نجد هذا النوع من المقدمات أيضا في قصيدة "استشفاء الكئيب لمناجاة الحبيب" حيث يقول الشاعر: [1]

الله أكبر حسب العبد مولاه	إن الذي قد سمعناه شهدناه
هذا الضريح الذي قد ضم أعظمه	أعظم به من ضريح ضمّ أعضاه
هذا الضريح الذي هام الوجودُ به	أليس فيه الذي زكاه مولاه
هذا محمد المحمود من حمدت	أفعاله ومعانيه وأسماه

يتغنى الشاعر هنا بقبر الرّسول ﷺ هذا الضريح الذي طيّب الله ثراه، لأنه يضم أعظم خير البرية، الذي يتشوق إليه كل مسلم، كيف لا وهو الذي ثوى فيه الحبيب المصطفى، ولكن الشوق إلى الأماكن المقدسة يبدو ظاهرا أكثر في صلب القصائد.

2. مدح الرسول ﷺ

يعتبر المدح واحد من الأغراض الأدبية التي طرحها شعراء العرب منذ العصر الجاهلي، وقد تحول في فترة صدر الإسلام من مدح الأشخاص المرموقين أو الكرماء، إلى مدح خير الأنام، وخير المرسلين محمد -ﷺ-، ويُعد شاعرنا "ابن الخلوف" من الشعراء الذين نبغوا في هذا الفن، بحيث يعتبر المديح النبوي من أهم الأغراض الشعرية في ديوانه، فقد اتخذ من الدين الإسلامي مرجعية ثقافية له، ذلك أنه تربى في كنف مجتمع يزخر بعالم الدين، وهذا ما جعله ينفخ هذه الروح الطيبة في شعره وهو الأمر الذي جعل قصائد المديح النبوي تكتسي حلة جمالية بديعية دينية، وثراءً وتنوعًا فنيًا.

ويعتمد شعراء المديح النبوي في مدحهم للنبي ﷺ على تعداد صفاته الخِلقية والخُلقية، وإظهار الشوق لرؤيته، وزيارة قبره، والأماكن المقدسة التي ترتبط بحياته، مع ذكر معجزاته المادية، والمعنوية، ونظم سيرته، والإشادة بغزواته، وصفاته المثلى والصلاة عليه. كما قد يُورد رؤيته في منامه،

[1]- ديوان ابن الخلوف، ص343.

كما يذكر أصحابه. "إن أبرز صفة تُميز شعر المديح النبوي هي الصدق في العاطفة، صدق تدفعه المحبة الخالصة للنبي -ﷺ- والرغبة في إظهار مناقبه لما بلغ من أثرها في النفوس، ذلك أنه لا مراء في حب النبي -ﷺ- إذ هو شرط من شروط الإيمان، قال رسول الله -ﷺ-: «فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده، وولده»، كما لا شك في أن ما يرافق هذا الحب من الأحاسيس والمشاعر هو أنقى وأنبل ما يجول في سريرة المحب، فتهتز قريحته لتفيض هذه الأحاسيس على لسانه مدحًا ينال به رضى الله في المقام الأول ويمكن له شفاعة نبيه ثانيا"[1].

فالشاعر "ابن الخلوف" شأنه شأن جلّ الشعراء الذين تحدثوا عن ميلاد الرسول ﷺ، وصفاته، وشمائله، ومعجزاته، وآله وصحبه، حيث أسهب أيّما إسهاب، فكانت بديعياته عِقد لؤلؤ لا تنفصم حباتها، وهذا ما سنتطرق إليه من خلال ثاني عنصر من المضامين ألا وهو —المديح النبوي- وما تتضمنه من مواضيع على نحو قول الشاعر مادحًا صفات النبي: [2]

لَمْ تَلِد مِثْلَهُ الْحَوَامِلُ فخرًا وكَفَى حِزْبَه بذَلِكَ افْتِخَارًا

كَامِلُ الحُسنِ ظَاهِرُ الشَر أضفى بِسِنَاهُ الشُمُوسِ والأقْمَارِ

أَزْهَرُ اللَوْنِ أشْنَبُ الثَغرِ أقنَى أَحْوَرُ الطَرْفِ، زَيِّن الأحوِرَارِ

أهْيَفُ القَدّ طيِّبُ النَّشرِ عنه قَدْ روَى الزَهْرُ رَوْضَه المِعْطَارا

ويقول في موضع آخر[3].

مَا أَجْمَلَ ذاتًا ومَا أَتمَّ بَهَاءً مَا أَحْسَنَ قولاً وما أَمْلَيْحَضَ أَفْعَالْ

[1]- حميان عبد الرحمان، المديح النبوي في شعر سيدي لخضر بن الخلوف، دراسة في الموضوعات والشكل، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في أعلام الشعر الشعبي الجزائري، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2010، 2011، ص183.

[2]- ديوان ابن الخلوف، ص188.

[3]- المصدر نفسه، ص270.

ويقول أيضا: [1]

فَهُو الذِي اِخْتَارَهُ البَارِئُ، وَصَوَّرَهُ إِنْسانُ عِنْدَ العُلا، ضُرْغَامَ كُلِ حِمَى

وهوَ الذِي صَنَعَ من نُورِ الجَمَالِ، وَمِنْ نُور الجَلال، فَحَازَ الفَخْر والعَظمَا

من خلال هذه النماذج، يتضح أن الشاعر قد أحصى صفات الجمال، وحسن ظاهره، فهو أشرف الخلق وأطهر البشر وأزكى أهل الأرض، وصفاته وخصاله لم يحملها أيٌ من البشر، ولم يجد مثلها أحد، صفاتٌ لا يكفيها ديوان من الوصف، ولا أبيات من النظم.

ومن خلال قصائد ابن الخلوف نَلْمَح إقرار الشاعر بحبه للرسول والتشوق لرؤيته وفي ذلك يقول:[2]

قُضِيَ الأَمْرُ فاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ فَلَكَ الحُبُ بِالنولّه دارَا

يا عذُولي مَا رَأَيْتُهُ في الحُبِ جَهْلاً وَأَرى حَاكِمُ الهَوَى لا يُمارَى

يقول أيضا في الحب والهوى: [3]

ولِي فِي الهَوَى وَصْف رقِيقٌ لأَنَنِي رَقِيقٌ لِمَنْ أَهْوَاهُ بِالحُبّ مُغرَمُ

وَمَا الحُبُ إلاَّ عِبْرَةٌ تَحْرِقُ الحَشَا وَسَهْدٌ به الجِسْمُ المنْعِمُ يَسْقَمُ

ويقول أيضا: [4]

أُحِبُكَ حُبَ هَيْمَانِ بوادٍ شَرِيد تَطْلب للمَاء صَادِي

أُحِبُكَ يا حَبيبَ وأَنتَ مِني بمَنْزِلَة السُويدَا مِنْ فُؤادي

---

[1]- ديوان ابن الخلوف، ص 98.

[2]- المصدر نفسه، ص185.

[3]- المصدر نفسه، ص 195

[4]- المصدر نفسه، ص230.

وَقَد أَسْكَنْتُ حُبِكُ في السُويدا كَسَكْنِي نُورَ عَيْنِي في السَوَادِ

فَأَنْتَ ضَيَاءُ إِنْسَانِيَ وقَلْبِي وأَنْتَ عِمَادُ رُوحِي واعْتِمَادي

الشاعر هَامَ في حب رسول الله ﷺ، فتعلق بصفاته وشخصيته، وخصاله الحميدة، على نحو ما قد أوجب محبة نبي الله، بل جعلها ركنا من أركان الإيمان.

ونجد أنّ الصلاة على النبي أيضا حاضرة بقوة في ديوان "ابن الخلوف"، فكما صلى عليه رب العزة، أوجب علينا أيضا الصلاة عليه لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[1]، لذلك أثبتَ الشاعر هذه الصلوات في جُلّ مدائحه، ما أضفى عليها حلاوة الذكر، وطيب الأُنس، يقول: [2]

وَصَلّ يا ربُ على المصطفى مَا شَقَّ نَحْر الصُبْحِ جَيْبَ الظَلَامِ

وقوله:[3]

والنبْتُ والأَشْجَارُ، الأَحْجَارُ قَدْ صَلُوا عَلَيْهِ صَلاةُ لَمْ يَبْخِلُ

كما ارتأى "ابن الخلوف" أن يمدح معجزات الرسول ﷺ، تعبيرًا منه على مدى إعجابه وتأثره بها، فهي معجزات يقف لها العالم إجلالًا واحتراما، وقد أورد الشاعر في الأبيات التالية معجزة العنكبوت في غار حراء حيث يقول: [4]

وفي تَبْيِينِ وفِي النُورِ، وَغَارَ حُرا نَصْرٌ، وَفَتْحٌ، وتَأْيِيدٌ وتأثيلُ

بَاضَ الحَمَامَ/ وحَاكَ العنكبوتَ على غَارِ عليْه لِيَسْتُرَ الله بخليلُ

وفيهِ قد قال تأْنيبًا لصاحبه لا تَحْزَنَ فَوعْدُ الله مَفْعُولُ

---

[1]- سورة الأحزاب، الآية 56.

[2]- ديوان ابن الخلوف، ص25.

[3]- المصدر نفسه، ص216.

[4]- المصدر نفسه، ص169.

كَفَا لهُ الله صَانته كَفَايتُها وهلْ يُناوى فتى بالله مَكْفُولُ

كذلك ذكر الشاعر معجزات أخرى للرسول ﷺ منها، بكاء جذع النخلة، وكذلك حادثة البدر، وكذلك حديثه مع الضب حيث يقول:[1]

مَنْ خَاطَبَهُ البَيْتَ والجَمَادُ شفا حقا من لاذَ بِهِ الظَبيُ والبَعيرُ مِنْ أثقالْ

مَنْ صَدَقَهُ الضَبُ والوليدُ بِقوْلٍ أْنَباهُ به الذِئبُ والغزالةُ والخَالْ

مَنْ أوْفَقَ الشَمْسُ لِغَيْرِ قُرَيْشٍ فِي وقتٍ غُرُوب وردَّها لعليَ العَال

مَنْ شقَّ له البدرُ في السماءِ جلالاً مِنْ حَنَّ لهُ الجذعُ حينُ مَال وَمَا مال

مَنْ لأَنَ لَهُ الصَّخرُ إذَا مشى بوقار مَنْ عزّ به الرَمْلَ أن يُبينَ تِمثَال

وقد ذكر الشاعر أيضا الانتصارات التي حققها الرسول وأصحابه، وذلك بذكره للغزوات والمعارك التي خاضها فمدحه إياه قائلا: [2]

وَقلْ عُروشَ المشْركِين بَشْرعِهِ وَقَادهُمْ لِلْمَوْتِ مِنْ حَيْثُ أَجْحَمُوا

فَسَلْ عَنْهُ أَحْزَابًا وبَدرًا، وخَيْبَرًا وَسَلْ عَنْهُ أَحَدًا وَاحْكِ الوَقَائِعَ عنهم

أَبَانَ ببدر للعُصاة مُصَارعًا فما لَبِثُوا أَنْ جَاوزُوهَا وَدَمْدَمُوا

يقول أيضا: [3]

وفِي حُنين وفي بدرٍ وفي أحدٍ إِبْطَالُ ما مَوّهَت تلك الأَبَاطيلُ

وفي قُرَيْضةِ الأحزابِ كم ظهرت وفي هَوَازنِ للهادي أفاعيل

[1]- ديوان ابن الخلوف، ص150.

[2]- المصدر نفسه، ص266، 267.

[3]- المصدر نفسه، ص252.

يبقى الممدوح رسول الله مثارًا للإبداع، إذ يتسامى كل البشر، فهو مُؤيد بالنور، مشرّف من الله تعالى في كل حين، وشخصيته أعظم، وأوسع أن يحيطها الوصف وتحتويها الكلمات.

إن بديعية "ابن الخلوف" تنوعت بمواضعها واتسمت بمضامينها الجميلة المستلهمة من التراث الإسلامي كذكر الأنبياء والرسل أو صحابة الرسول ﷺ أو ما تمكن الاصطلاح عليه بالمواضيع الدينية.

ولقد حرص الشاعر على تشكيل بديع، جمع فيه بين عدة مضامين متباينة ومتقاربة، فهي متعلقة بسيرة الرسول ﷺ ومدحه، ومعجزاته، وغزواته من الأنبياء وأصحابه، وآل بيته.

حيث حضر الشاعر في ديوانه "حنى الجنتين في مدح خير الفرقتين" عدد لا حصر له من الأنبياء والرّسل وهذا ناتج عن تشبعه بمعالم الدين وروحانيته. وتوظيف هذه الأسماء كان لها أثر بالغ وبصمة بقيت مغروسة على مر الزّمان، فقد كان لهذه الصفوة من الخلق حضور له أثر كبير في ديوان الشاعر حيث زيّنت قصائده ورصعّت أبياته ومن بين هؤلاء نجد:

أ. **آدم عليه السلام:**

هو أبو البشرية قاطبة وأول الأنبياء الذين اصطفاهم الله في هذه الأرض، خلق من طين، ونفخ فيه من روحه، وقد وظف "ابن الخلوف" في ديوانه شخصية آدم عليه السلام في العديد من القصائد، وذلك من خلال استدعاء لقصة "اعماره للأرض"، وقصته مع إبليس –لعنة الله عليه– وكذا استحضار أحداث حياته وأولاده وتوبته بعد الخطيئة، لما جاء في قصص الأنبياء: "فلما كان منه ما كان من أكله من الشجرة التي نهى عنها، اهبط إلى أرض الشقاء، والتعب، والنصب، والكدر، والسعي، والنكد، والابتلاء، والاختبار، والامتحان، واختلاف السكان دينًا، وأخلاقًا، ,أعمالاً، وقصودًا، وإرادات، وأقوالا، وأفعالاً"[1]

[1]– ابي الفداء إسماعيل بن كثير، قصص الأنبياء، تح، مصطفى عبد الواحد، مكتبة طالب الجامعي، مكة المكرمة، العزيزية، ط3، 1408هـ، 1988م، ص34.

وهذا ما ورد على لسان شاعرنا في قوله: [1]

لولاه ما خُلقت عدنُ لآدم، بل لولاه ما حَطَ شَيْت في العُلاَ قَدَمَا

وقال أيضا[2]

به لآدم هَبْ العَفو وانْتَسَبَتْ لِشِيتِهِ في سَمَا العَلَيَا الأراجيل

ونجد أيضا[3]

إن كان آدم سَمَا بأبوَّ فهو آبْنُ أَحمَمَ في الزَّمَانِ الأوَّل

ويقول في موضع آخر: [4]

من به آدم، وشيت، أنيلا ما أنيلاَ من الرّضا استبشَارَ

وأيضا: [5]

يا أكرم العُرَب الكرام، ومن له جاهُ لاَذَ المسِيحُ، وَآدَمُ

وكذلك في قوله[6]

فَيَأْتُونَ طُرًّا نَحْوَ آدم سُرْعًا وأكبادهم مِمَّا دَهَاهَا تحسّمُ

ولم يقتصر استخدام "ابن الخلوف" للبني آدم في ديوانه على هاته الأبيات فقط، بل أن هناك مواضع أخرى، اختلفت فيها دلالة التوظيف من قصيدة إلى أخرى حيث أن عددها الإجمالي هو تسعة عشرة مرة[7].

---

[1]- ديوان ابن الخلوف، ص100.

[2]- المصدر نفسه، ص144.

[3]- المصدر نفسه، ص172.

[4]- المصدر نفسه، ص189.

[5]- المصدر نفسه، ص217.

[6]-المصدر نفسه، ص248.

[7]- المصدر نفسه، ص308.

ب.شيت بن آدم:

هو ابن آدم عليه السلام، جاء لإكمال رسالة آدم بعد وفاته، في توحيد أهل الأرض، وهو نبي الله لكن لم يذكر اسمه في القرآن.

حيث نجد الشاعر "ابن الخلوف" لم يتوان لحظة في تصويره لما له فضل في إعمار الأرض، وخاصة دوره في قيادة أبناء آدم الأولين، ومن بين الأبيات التي ذكر فيها اسم "شيت" في الديوان نجد[1]

ألست الذي حَيَا به شيت فاعتلى وبزَا لإدريس مكانا به أثرى

وقوله: [2]

بهذا الذي نال شيت من عُلاه علا بها ارتقى إدريس في آفاق علياه

وأيضا: [3]

رسول به شيت وإدريس أصبح جليسي جلال في أجل مواضيع

وقوله: [4]

واستجب لي بما استجيب لنوح ولشيت، آدم المبرور

"فابن الخلوف" حرص على ذكر هذا النبي عدة مرات في الديوان حيث تمّ ذكره ستٌ مرات

[1]- ديوان ابن الخلوف، ص343.

[2]- المصدر نفسه، ص400.

[3]- المصدر نفسه، ص520.

[4]- المصدر نفسه، ص533.

ج. إدريس عليه السلام

هو نبي بعد آدم وشيت، وقد ذكر في القرآن الكريم، وورد ذكره عند "ابن الخلوف" في قصائده، حيث يستمر في تقديم وصف يليق بمقامه مستوحيا في أبياته قصة رفعه إلى السماء، وفي هذا الصّدد يقول: [1]

أو أن إدريس فوق الفوق مرتفعًا فَإنَ طه بأفق القرب قد نجَمَا

وقوله: [2]

لولاه مَا فَازَ إدريس برفعته ولاَ نَجَا نوح من الطّوفان حين طَمَ

وأيضا: [3]

وبه إدريس قدْ أَجِل ويَحْيَ ووبه إلياسَ والعزيزَ أَنِيلاَ

وقال أيضا: [4]

ونال إدريس في العليا بهه رتبا كما لنوح به في الفلك تتحويلُ

وقوله[5]

حبيب به إدريس رقع قدره فأمست به العليا تُعَزُّوه كرمُ

وقد ورد اسم إدريس في مواضع عدة في قصائد "ابن الخلوف" والتي تختلف في معانيها ورموزها من قصيدة إلى أخرى.

---

[1]- ديوان ابن الخلوف، ص100.

[2]- المصدر نفسه، ص100.

[3]- المصدر نفسه، ص126.

[4]- المصدر نفسه، ص144.

[5]- المصدر نفسه، ص237.

حيث كان هدف "ابن الخلوف" هدفا ساميا في الحديث عن الأنبياء والرّسل الذين خصّهم بصفات جمّة وكانوا رمزًا لدلالات عدة.

د. نوح عليه السلام:

هو نبي الله الذي أرسله إلى قوم يعبدون الأوثان ليوحدوه، ويعبدوا الله وحده لا شريك له، في حين قوبل بالرفض من أغلبهم، فأرسل الله عليهم الطوفان حتى يكونوا عبرة لغيرهم.

وقد وظف الشاعر شخصية نوح عليه السلام في شعره من خلال قصة عصيان قومه له، ونجاته من الطوفان حتى تكون رمزًا يُحْتذى به، حيث قال: [1]

جميبُ به نوح دعا الله ربّه فأَنْقَذَ من يمٍّ به القومَ أعْدِمُوا

وقال أيضا[2]

وبه الحَصرُ، والكَليمُ أَعْزَا وبه نُوحَ والمِسيحَ اسْتَطِلاَ

وقوله: [3]

فاستجب لي بما استجبتَ لنوح ولأبوب إذا أتاك دخيلا

وأيضا: [4]

أو في السفن علا نوح، فأحمد قد علا على مرتقى عنه تنزيلُ

ويقول أيضا: [5]

فيقول: لست لها، ولكن اذهبوا للمجْتَبى نوح، النبيُّ، الأصول

---

[1]- ديوان ابن الخلوف، ص237.

[2]- المصدر نفسه، ص127.

[3]- المصدر نفسه، ص135.

[4]- المصدر نفسه، ص143.

[5]- المصدر نفسه، ص176.

وقد ذكر "ابن الخلوف" النبي نوح عليه السلام في عدة مواضع من قصائده ولكل منها دلالاتها ومعانيها المتعددة، وبلغ عددها واحد وعشرون مرة.

هـ. إبراهيم عليه السلام

أرسله الله إلى قوم يعبدون الأصنام ليهديهم، فعارضوه، وكذبوه، وحتى والده لم يؤمن برب إبراهيم، فنصبوا له المكائد، وجادلوه، فقرروا رميه في النّار، لكنّهم لم يفلحوا في إيذائه وتبين ذلك في قوله تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (68) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ(69) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ (70)﴾ [1].

وقد ذكر "ابن الخلوف" إبراهيم عليه السلام في أبيات قصائده ليبين لنا أن الحق دائما هو الذي يفوز، وأن الطّاغين في الأرض دائمًا هم الخاسرون، ومن الأبيات التي ذكر فيها سيّدنا إبراهيم نجد ما يلي: [2]

وَصَينَ لوط به قومه، وطفَى جمرًا أُعِّد لإبراهيمَ مشعولُ

وفي قوله:[3]

أو قد نجا إبراهيم من نمرُودهِ فلقد كفى الختار كل مضلّل

وأيضا: [4]

حبيب به إبراهيم أصبح آمنا وقد قذفوه في لَ.... يتضّرمُ

[1]- سورة الأنبياء، الآية 68-70

[2]- ديوان ابن الخلوف، ص124.

[3]- المصدر نفسه، ص173.

[4]- المصدر نفسه، ص237.

ويقول ابن الخلوف: [1]

عليكم بإبراهيم فهو الفتى الذي له الله أطفى النّار وهي تضرم

فقد وظف الشاعر شخصية النبي إبراهيم عليه السلام انطلاقا من عظمة معجزات واستحضارًا للأحداث والنتائج، لما في ذلك من عبر ودروس، حيث تمّ ذكره في قصائده اثنتا عشرة مرة.

و. لوط عليه السلام:

أرسل الله نبيه لوط إلى قومه يدعوهم إلى الابتعاد عن الفواحش، لكنهم حين طغوا وتمادوا، جاء أمر الله بخروج أهل لوط وأتباعه من القرية التي أنزل الله بها عذابه بسبب الفاحشة، وإتيان الذكران، حيث دعاهم سيدنا لوط إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وترك الفواحش لكنهم استمروا على فجورهم، وكفرهم، حتّى جاء ردّ الله، وجعلهم عبرة يتعظ بها كل عاضٍ.

وقد جرى ذكر النبي لوط عليه السلام في دوان "ابن الخلوف" جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين" لكي يتبين لنا أن بعد العصيان يأتي الجزاء دائما كرمز يحتذى به، ومن أهم ما جاء في أبياته يحمل أسم لوط نجد قوله: [2]

أو قوم لوط وعاد إذا طغوا وبغوا صاروا كنخل رماه الرّيح فانصَفَحَا

وقوله: [3]

نبئ به لوط نجا إذا دعا على بغاة سدوم إذ أحلوا المحرّما

كذلك نجد: [4]

رسول به لوط نجَا، وبِجَاهِهِ كَفَاهُ إِلَهُ العرشِ بؤس الفطائِعِ

---

[1]- ديوان ابن الخلوف، ص148.

[2]- المصدر نفسه، ص363.

[3]- المصدر نفسه، ص377.

[4]- المصدر نفسه، ص400.

وقوله: [1]

من به لوط قد ابادَ سُدومًا حيث راموا طريقة إلا لحاد

ولقد استعمل الشاعر اسم لوط ففي عدة أبيات أخرى والتي عددها أربع عشرة مرة تحمل المعنى نفسه في كل بيت.

ز. إسماعيل عليه السلام:

هو ابن سيدنا إبراهيم الخليل جاءه بعد ما طُعِنَ في السن وهو ذبيح الله، أراد إبراهيم عليه السلام أن يفديه لله، وصفه القرآن على أنّه من الصّابرين، ومن الصالحين، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ(85) وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ (86)﴾[2]

بعثه الله إلى القبائل التي استقرت حول بئر زمزم لدعوتهم إلى هذا الدّين، وقد أشار إليه الشاعر في أبياته لأنه كان من الصابرين ومن قصة الفداء به، وقد ذكره في عدة أبيات منها:

قوله:[3]

وحمى صالحا به وشعيبا وسليمان والفتى وإسماعيلاَ

وقوله: [4]

حبيب به إسماعيل من ذبحه نجا بذبح عظيم ليس فيه تغلصمُ

وأيضا: [5]

---

[1]- ديوان ابن الخلوف، ص475.

[2]- سورة الأنبياء، الآية 85، 86.

[3]- ديوان ابن الخلوف، ص126.

[4]- المصدر نفسه، ص238.

[5]- المصدر نفسه، ص308.

أليست الذي إسماعيل لولاه ما افتدى بذبح عظيم، واستسن به النحرا

وقوله كذلك: [1]

نبيٌّ فدى إسماعيل بالكبش ربُّه له، وله في الشعب أَنْبَعَ زَمْزَمَا

ويقول في موضع آخر: [2]

يَا من كفن إسماعيلَ من ذبح، بذبح مستعد

فالهدف من توظيفه للنبي إسماعيل هدف، سامي سُمُوَّ المعرفة والغرض الشعري المعبرّ عنه، وهو المدح، وهذا ما ركز عليه في قصائده شأنه شأن كل الأنبياء المرسلين.

ح. يوسف عليه السلام:

وهو الابن الحادي عشر لنبي الله يعقوب عليه السلام، فقصة سيّدنا يوسف ذكرت في القرآن الكريم في سورة يوسف "حيث كان ليوسف إخوة ظنوا أن أحب لأبيه وأرادوا به سوءً، وفي الأخير قرروا أن يلقوه في غيابة الجبّ، وبعد هاته الحادثة التقطه بعض السّيارة، وباعوا لعزيز مصر، وبسبب جماله وفطنته، فتنت به زوجة العزيز، وكادت له المكائد، فدخل بعدها السجن، وتحمل الظلم سبع سنين، وآتاه الله الحكمة، وعلمه تأويل الأحاديث، فكانت سبب خلاصه من السجن بعد تفسير رؤيا الملك، وأصبح عزيز مصر، وارتفع شأنه ومكانته، وسعى في نشر دين أبيه يعقوب، وأجداده، وثمّ لمّ شمله مع أحبابه.

وقد حضر هذا النبي بصورة بارزة في قصائد شاعرنا وهو ما ينبغي ملاحظته، فبديعيته تكتسي طابعا خاصا وتوظيف بشكل جديد من خلال فن الشعر والذي ابدع فيه الشاعر في نسج مدحته

[1]- ديوان ابن الخلوف، ص376.

[2]- المصدر نفسه، ص503.

حيث ورد اسم يوسف في أبياته، مستوحيا من قصته عبرة للصبر على الشدائد، ونجد اسمه في عدة مواضع من الدّيوان، نذكر الأبيات الآتية من قول الشاعر: [1]

ألست الذي نجا به الله يوسفا وأعقب يعقوب القميص الذي سرا

وقوله: [2]

وأنست يوسف في جب واتضحت بها ليعقوب هاتيك الإشارات

وقوله أيضا: [3]

نَبِيٌّ به الصّديق يوسف قد نجا من الجُبِّ إِذَا ألقوه فيه ليُعْدَ

وقال كذلك في موضع آخر: [4]

سير قميص يوسف ما اعترى بصري من الوجع الشّديد إلياس

وغيرها من المواضع التي تمّ توظيفْ سيّدنا يوسف فيها، وكلها كانت رمزًا لصبره الشديد.

ط. **هارون عليه السلام:**

هو صحبة لأخيه موسى عليه السلام وأفصح منه لسانا، أرسله الله مع أخيه للدعوة إلى عبادة الله وحجة له على قومه.

وقد استحضر "ابن الخلوف" هارون وقصته مع أخيه في عدة أبيات له منها: [5]

لولاه ما ردّ شمس ألفق يوشع، بل لولاه ما نال هارون الرضا وسما

---

[1]- ديوان ابن الخلوف، ص308.

[2]- المصدر نفسه، ص325.

[3]- المصدر نفسه، ص377.

[4]- المصدر نفسه، ص441.

[5]- المصدر نفسه، ص100.

وقوله: [1]

وبه إسحاق، أنيل، والأسباط وهارون بلغوا المأْمُولاَ

وقال أيضا: [2]

رسول به موسى وهارون أبَدَا ويوشعْ والأسباط زهْر المطالع

نجده كذلك في: [3]

من به نوّل الحبورة هارو ن المعالي، فأرغم الكفّارَ

وقد ذكر "ابن الخلوف" اسم هارون في عدة مواضع في القصيدة، حيث كان هو وأخوه رمزا للشجاعة والثقة والأخوة والتعاون فأخذه معه إلى قومه حتى يصدقوه لأنه أفصح منه لسانا ما كان للشاعر أن يستحضره في مواضع عدة من أبياته إلا ليؤكد هذه الدلالات ويلح عليها على سبيل الموعظة والعبرة.

ي. ذكر الصحابة وآل بيت الرسول:

لقد استدعى "ابن الخلوف القسنطيني" في ديوانه عدة شخصيات دينية، فما دامت البديعية ليست تأليفا بلاغيا فحسب، بل الأهم أنها تعود إلى سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، لم يكتفي الشاعر باستدعاء شخصية الأنبياء والرّسل فقط بل امتد إلى ذكر الصّحابة –رضي الله عنهم–، دون أن ننسى ذكر قصص النّساء الصّالحات انطلاقا من أهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم وغيرهم كثر، ومن أبرزهم حضورا في المدوّنة:

[1]– ديوان ابن الخلوف، ص126.

[2]– المصدر نفسه، ص400.

[3]– المصدر نفسه، ص190.

1. **الصّحابة:** فقد أخذ الصّحابة على عاتقهم إكمال الدّعوة بعد أن كانوا سنداً له صلى الله عليه وسلم قبل وفاته، لذلك فما كان على الشاعر "ابن الخلوف" إلاّ أن يتغنى بذكرهم في أبياته وقصائده، ومن بين هؤلاء الصحابة:

أ. **أبو بكر الصّديق:** وهو أول الخلفاء الراشدين، لُقبَ بالصّديق ذكره "ابن الخلوف" في عدة مواضع، حيث قال: [1]

يا دخر أبي الخليفة حقًا يا عزّ أبي حفص المفرق الأضلال

وولى أبا بكر خلافته التي أبرّت على كلّ المقامات منتهى[2]

وقد ذكر الشاعر أبو بكر عدّة مرات.

ب. **عثمان بن عفان:** ويكنى بذي النورين لأنّه تزوّج اثنتين من بنات نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم، جاء ذكره في قول "ابن الخلوف": [3]

أو مثل عثمان ذي النورين من جمع الذكرى وقد كشف الأهواء، والغَمَمَا؟

أو مثل عثمان ذي المعالي كعلقي الفتى الجوار.

وكذلك اسم عثمان استخدمه "ابن الخلوف" ضمن قصائده اثني عشرة مرة.

ج. **علي بن أبي طالب:** هو ابن عمّ الرسول وصهره، أحد الصحابة ورابع الخلفاء الراشدين، جاء ذكره في الديوان في قول "ابن الخلوف": [4]

وأبرى ريقه عيني علي بخير يوم جدل بالقفار

يا فور أبي عمر والمقرب صهرًا يا فخر علي الفتى المعزز في الآل

---

[1]- ديوان ابن الخلوف، ص271.

[2]- المصدر نفسه، ص382.

[3]- المصدر نفسه، ص119.

[4]- المصدر نفسه، ص76.

د. **عمر بن الخطاب**: هو ثاني الخلفاء الراشدين، وقد لقب بالفاروق لأنه فرق بين الحق والباطل، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، فقد جاء ذكره أيضا في قول الشاعر: [1]

أو مثل نجم الهدى الفاروق من فرقت منه الشياطين، واعتزت ديانات.

إن ذكر اسم الرسول صلى الله عليه وسلم والأنبياء ومعجزاتهم والصحابة كان لابد منه في ديوان "ابن الخلوف القسنطيني"، فقد حرِص أشدّ الحرص على التغني بأسمائهم، بالإضافة إلى هؤلاء الصَّحابة نجد أيضا:

هـ. **بلال بن رباح**: فهو مؤمن الرّسول صلى الله عليه وسلم اشتهر بصبره على التعذيب، كان من السّباقين إلى الإسلام، جاء ذكره في الديوان في قول الشاعر: [2]

واكــتنفني بما اكْتَنَفْت بِــلالاً ورباحًا، ورَافِعًا، ونبيلاً

وله عدة مواضع كان قد ذكر فيها في أبيات مختلفة.

وقد كان لصحابة الرسول نصيب من المدح، في قصائد "ابن الخلوف" وذلك لما لهم من ارتباط قوي بأمجاد الرسول في غزواته، وكذا مساندتهم له وعونهم في أصعب المواقف التي حصلت معه، فعززوه وناصروه حتى آخر قطرة من دمائهم، فارتبط ذكرهم بذكر النبي ﷺ، ومساندتهم لرسول الله ﷺ زادته قوة ونصرًا، فكان ضروريا استحضار شخصهم العظيم.

2. ذكر آل بيت الرسول:

لقد استمر "ابن الخلوف القسنطيني" بالتغني في قصائده بشخصيات عظيمة كلها ذات صلة بالرسول الحبيب، فمن عظمة الرّجال إلى خير النساء اللّواتي سجل التاريخ أسماءهن بأحرف من ذهب، فبديعيته جاءت كعقد لؤلؤ، لا تنفصم حباتها عن بعضها البعض، فقد تفردت هذه البديعية بصورتها الفنية الجميلة والمبتكرة التي أبدع الشاعر فيها، ووصل من خلالها إلى قمة القمم في الجمع بين

[1] - ديوان ابن الخلوف، ص335.

[2] - المصدر نفسه، ص271.

ذكر الرّسول صلى الله عليه وسلم، ومدحه، وصفاته ومعجزاته، وذكر الأنبياء ومعجزاتهم، وأصحابه وآل بيته.

والمتأمل بديوان "جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين" يجد أن "ابن الخلوف" استدعى في قصائده عدة نساء من أهل الرسول وكذا قصص النّساء المذكورين في القرآن ومن بينهم ما نجد في قوله: [1]

في حليمة إذا جاءت لترضعها مظاهر أشهدتها أنه عصم

وفي خـديجة لمـا جـاء ميسـرة سرّ لطيف أراها قدره عظم

وفي صفيه إذ في حجرها نظرت بدر السّماء دليل أوضح اللقما

والملاحظ لقصائده يجد أن الشاعر قد بيّن لنا من خلال هذه البديعية فضل هاته (حليمة، خديجة، صفية) النسوة في دعوة الرّسول ودعمه خلال تأدية رسالته.

وأيضا من الأسباب التي جعلت "ابن الخلوف" يذكر أهل بيت الرّسول عفة بناته وأخلاق نسائه، وطيبة معشرهم، وقوتهم، فما كان من الشاعر إلا أن يعظم قدرهم من خلال قوله: [2]

ألست الذي نادى حليمة سعدها لإرضاعك المهدى لها اليمن والبشرى

وقوله أيضا: [3]

ألست الذي أَنْبَأتَ عائشة الرّضا بمشطٍ لبيت إذ به صنع السَحرا؟!

ألست الذي بالأمر جئت خديجة فقالت لك: أبشر يا ابن عَمّ، وسِمْ صبرا؟!

ألست الذي صدّقت رؤيا صفيةٍ وقد عاينت في حِجرها قمرًا بَدْرًا؟!

فالشاعر هنا أعطى صورة طيّبة عن أهل بيت الرّسول مشيدًا بمواقفهم تجاهه، معظما نسلهم، معجبا بمساندتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

[1]- ديوان ابن الخلوف، ص104.

[2]- المصدر نفسه، ص304.

[3]- المصدر نفسه، ص310.

وهكذا نجد أن شاعرنا يتملك من الموهبة والملكة الإبداعية ما يُبْهِر ويعجب، فقد حرص "ابن الخلوف" على إبرازها في لوحة فنية رائعة، وهذا يدل على قدرته وتمكنه من فنه، فحديثه عن الرّسول والأنبياء ومعجزاته، وآله وصحبه كلها مواضيع تشير إلى روحه القوية، حيث تجاوز مرحلة الإبداع، وحقق جمالا فنيا، مجسدًا لفن إسلامي بديع، وانفردت بديعياته وتميزت بأبيات رائعة، وتصوير جميل، وعاطفة صادقة، خاصة وأنها ترتبط بمدح خير الأنام محمد عليه أفضل الصلاة والسّلام.

3. الدعاء والتضرع:

الدعاء في الإسلام عبادة تقوم على سؤال العبد ربّه والطلب منه، وهي عبادة من أفضل العبادات التي يحبها الله خالصةً له.

وهو استشعار لعظمة الخالق، وصلة تربط العبد بربه، وتقربه منه، وضرورة مُلحة في حياتنا، حيث يلجأ إليه العبد إما طلبًا، أو ثناءً لتحقيق أماني دنيوية، أو أخروية مُبينة على رجاء من الله عز وجل القادر وحده على تحقيقها.

ومن خلال تصفحنا للديوان، رأينا أن شاعرنا قد وظف الدعاء، وبإسهاب كبير حيث أخذ منحى في شعره، فقد يكون استغفارًا من الذنوب والخطايا وطلبا للرحمة والمغفرة، أو صلاة ينادي بها الله ويناجيه، أو صلاة على أفضل خلق الله محمد صلى الله عليه وسلم، وطلب العفو منه، ورجاء شفاعته، وقد يكون الدعاء شكرٌ وحمدٌ على نعم الله وفضائله، وكذا التسبيح بأسمائه الحسنى، يقول في هذا الصدد: [1]

يَا كَاشِفَ الضَر، المهينِ، وسَاتِرْ ... الذَميم وصَارِفَ الأنفاس

إنِّي قَصَدتُكَ يَا كَرِيم، ومن يَمِلِ ... لسوى عَلاَكَ يَبُوء بالإفلاسِ

وفَرِعتُ بالَ غِنَاكَ يا مَوْلَى العِطا ... بيد الرَجَا، الفقْر، والإفْلاسِ

وسألت فَضْلَكَ يا مُجيب، يا جَاه منْ ... ألبستهُ ثَوتَ الكَمالِ الكَاسِي

[1]- ديوان ابن الخلوف، ص439.

ويقول أيضا: [1]

يا توّاب يا وهّاب وَفّقْ فقد خَطّ المشِيب دَجَى عِذَاري

ويا غَفّارْ، يا سَتَّار منْ لِي بِعَفْوِكَ حِينَ لا يُغنِيَ لعْتِذارِي

ويا ذَا الجُود والجَبروت جُدْلي بِمَ أرْجُوه مِنْ جَبْرِ آنكساري

نلمس من هذه الأبيات طلب التوبة ومحو الذنوب من خلال التسبيح بأسماء الله الحُسنى، ثم يعود ليُلح في طلب العفو قائلا: [2]

يَا أرْحَمَ الرَاحِمِين العَفْوَ عن وَجلٍ لَمْ يَنْهِه العالِمُ عَنْ خَوْضِ الجَهَلاَتِ

يا أرحم الراحمين العفو عن دَنَفٍ لم يَسْتضفِه الطِّبُ من دَاءِ الدُّنْيَاتِ

يا أرحم الراحمين العفْو عَن غَرقٍ لم يُنجه العَوْمُ مِن بحْرٍ الإضاعَات

أما الاستناد، واللجوء، والحاجة إلى الله تعالى، فهي صورة لم يخلو منها الدعاء والطلب، والرجاء، فلا حول ولا قوة إلا لله، وفي ذلك يقول الشاعر: [3]

فيا ربُ يا الله، يا سامِعُ الدُعَا أقَل عَثْرَةَ الجَانِي وسَامِحْ تَكرُما

ويا ربُ، بالله كُنْ لِي ولا تكُنْ عَلِيَّ إذا ذَاقَ الفضاءُ وأضْلَما

ويقول أيضا: [4]

يا رَجائي، وملجئي وغَياتي كُنْ بِما أرْتَجيته منكَ كفيلا

يا حبيبي، يا مؤنسي وجَليسي أنت أدْنَى مِني إليّ وُصُولا

أنا عَبْدُ وأنت رَب ومَنْ لِي إن تكن مُعْرضا لكوني جَهولاً؟!

---

[1]- ديوان ابن الخلوف، ص79.

[2]- المصدر نفسه، ص445، 446.

[3]- المصدر نفسه، ص391.

[4]- المصدر نفسه، ص134.

ومن صور الدعاء أيضا طلب الشاعر من الله تعالى تثبيت القرآن في قلبه، ففيه شفاء للصدور من كل داء وهم حيث يقول في ذلك: [1]

وأَنِـر بِنـــورِ العِلْــم واكســـني ثَوبَ التُقى، واكْشِف حِجاب تغفلِ

واحفظني بالقرآن مِن أن تُنْسِني يا مُرْتَجَى حِفْظُ الكِتابِ المنَزّلِ

واشرَح بِه صدْري، وأَطْلِعني على مَا فيه مِن مَعْنى دَقيقٍ مُشكلِ

واجمَــع بــه شَمْلي، ويَــسرني له تَيَسُرَ عبدٍ قد تَلا بِتَرَتُل

وفي موضع آخر، نجد رغبة جامحة في نيل الشفاعة، فيقول الشاعر: [2]

وكل شَخصٍ يُنــادي: يا محمد سَـــل مَوْلاك في أمرنا فالأمر قد تعظما

أنت المشفع، فاشْفَع في العِباد، فقد طَال الوقوفُ، وشَبَّ الهَوْلُ واضْطرما

ويقول أيضا: [3]

وأتيتُ مُلتمسًا بشفــاعَتكَ الــتي حكمتُ بإنقاذِ العصَاة من الجحيم

أوليــس قُلْــتَ شَفَــاعتِي أَعْـدَدْتُهَا لِذَوِي الكَبَائرِ يَومَ يَعْذُو الخلق هيْم

فَاشْفع بِجَاهِكَ لي، وإن أسرفت في فِعْلِ قبيحٍ، فَأنتَ ذُو جَاه عظيم

والأبيات التي اقتطفناها من الديوان، ما هي إلا نماذج أكثر فيها الشاعر من الإلحاح في الدعاء، وبطبيعة الحال، فالديوان لا يقتصر على ما تطرقنا إليه، بل هو غني بهذا الفن الشعري. ومن خلال هذه الأدعية والمناجاة ختم الشاعر بديعيته، من خلال اللون البديعي "حسن التخلص" وفعلا فقد وفق وأحسن به التخلص الذي تضرع به لربه ليخلصه من العذاب ويهبه حسن الختام، فالشاعر من خلال مدحه كان يسعى لتحقيق غاية سامية منذ البداية، وهي الفوز بالجنة والنجاة من النار.

[1]- ديوان ابن الخلوف، ص181.

[2]- المصدر نفسه، ص111.

[3]- المصدر نفسه، ص221.

وما يمكن قوله، إن الشاعر أبدع إبداعًا منقطع النظير، حيث استطاع أن يخلق نوعا من التلاحم بين مضامين بديعيته في قالب إبداعي رائع، فقد استهلها بطابع غزلي من خلال البوح بحبه، وشوقه لرؤية الحبيب الشفيع، وبعدها أشاد بصفات ممدوحه، منهيا حديثه بالتوسل والتضرع لنفسه ولأهله.

ثانيا: النظام البلاغي:

يعد "ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين" إبداع من نوع خاص، يطبعه جمال ذا تألقٍ وجداني، تمتزج فيه الألوان البلاغية في لوحة فنية، لهذا سنحاول تتبع النظام البلاغي الذي أتبعه الشاعر، أو فرض نفسه في بديعياته:

1. البديع:

يدور مصطلح البديع حول التحسين، والتزيين في اللفظ والمعنى فحسب اللفظ يكون من حيث الجرس الصوتي، وحسن الكلمة يكون من حيث أداؤها لمعناها، يقول الله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[1] فكلمة البديع أتت بمعنى الإعجاب، والإدهاش والإبهاج. "فالبديع هو علم يعرف فيه وجود تحسين الكلام، بعد رعاية المطابقة بمقتضى الحال، ووضوح الدلالة على المعنى المراد"[2].

وسنتطرق من خلال هذا العنصر إلى استخراج أهم ألوان البديع الواردة في "ديوان جنى الجنتين في مدخ خير الفرقتين"، وستكون بدايتها مع الطباق:

---

[1]- سورة البقرة، الآية: 117.

[2]- عيسى علي العاكوب، المفصل في علوم البلاغة العربية (المعاني، البيان، البديع)، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، (د ط)، 2000م، ص555.

أ. المطابقة:

ونسمي الطباق والتضاد، وتعني في الاصطلاح البلاغي: "أن يجمع المتكلم في كلامه بين لفظين يتنافى وجود مَعْنيْيهْمَا معًا في شيء واحد في وقت واحد، أي أن يجمع في كلام واحد معنيين متقابلين"[1].

فالطباق هو الجمع بين لفظين متقابلين في المعنى، وقد يكونا اسمين، أو فعلين، أو حرفين، فيكون تقابل المعنيين وتخالفهما، مما يزيد الكلام حسنًا وجمالاً، فهو سمة بديعية يلجأ إليها الشاعر ليكسب شعره نوعًا من التزيين. والطباق نوعان، "طباق إيجاب: وهو أن يجمع بين لفظين تضاد مَعْنياهُما وكلٌ منهما مُثبت، وطباق سلب: هو أن يجمع بين فعلي مصدر واحد أحدهما مثبت، والآخر منفي أو أحدهما أمر والآخر نهي"[2].

ومن أمثلة طباق الإيجاب عند الشاعر ابن الخلوف قوله[3].

خَطيبٌ حُبُ تدَاعَاهُ الهوَى فلهُ فِي اليلِ نُوحٌ وفي الصباحِ آنَاتٌ

فالشاعر جمع بين لفظي (في الليل، وفي الصباح) حيث استطاع بواسطة الطباق التعبير عن مدى المعاناة والآلام من شدة هوى وحب رسول الله ﷺ، حيث يكون في النهار مريضًا، وإذا ما حل الليل تصبح صيحاته نواحًا.

يقول في موضع آخر: [4].

سألتكَ بالهادِي أَجِبْ دَعْوتِي وجِدْ بِمَا أَرْجِنِي مَالِكْ الأرضِ والسمَا

الشاعر جمع بين لفظي (الأرض والسماء) ليدل على قدرة الله تعالى في خلق السماوات والأرض، كما جمع بين لفظتي القوة والضعف في قوله: [5]

---

[1]- عيسى علي العاكوب، المفصل في علوم البلاغة العربية (المعاني، البيان، البديع)، ص559.

[2]- ديوان ابن الخلوف، ص560.

[3]- المصدر نفسه، ص 318.

[4]- المصدر نفسه، ص 392.

[5]- المصدر نفسه، ص 139.

تَغْزُوا افتَدَارً، وتَرْنو عَنْ مُخادعه فَهيَ العُيونِ القوياتِ، الضَعيفاتِ

يقول أيضا: [1].

فلا تَثْقِل بلومٍ في الحَبِيب فَلي بالَوْمِ، والحُبُ تَخْفِيفٌ وتثْقيلُ

جمع الشاعر بين (تخفيف وتثْقِيل) فهو لا يلقي باللوم على حبيبه المصطفى، وإنما يلقي اللوم على نفسه، فهو في سبيل حبه للرسول يتحمل نار الحب والشوق سواء أكان ثقيلا أم خفيفا، ومن صور الطباق الإيجاب في الفعل قول الشاعر:[2]

بَكى بالدُّمَا هِنْديه، وَهُو ضَاحِكُ وَمَنْ عَجِبَ يبْكِي الدُّما وَهُو يَبْسُمُ

فالمطابقة هنا جاءت بين الفعلين (يبكي ويبسم) فالبكاء ضد التبسم، أما إذا انتقلنا إلى طباق السلب فنجد من صوره قول الشاعر: [3].

مَنْ خَصَهُ اللهُ بأَشْيَاءَ لَمْ يُخصِصْ بهَ إلاَّهُ يومَ القيامِ

فالشاعر قد جمع بين (خصَه، ولم يخصص) فالفعل الأول جاء مثبتًا والفعل الثاني منفي بلم، ويتبين من خلال هذه المطابقة أن الله سبحانه وتعالى قدْ خصّ رسوله الكريم بصفات وأشياء على سائر البشر فهو حبيب الله، شمسُ العلا، وخير الأنام.

يقول الشاعر أيضا: [4]

وَيَارَبِّ يا رحَمنِ كُنْ لِي ولا تَكُنْ عَليَّ إذا عَوضْتنِي مِنْ منزلي قَبرَا

فقد ورد الطباق السلب بين (كن، ولا تكن) وكذا ورد طباق الإيجاب بين حرفي (لِي، عَليّ) لأن الشاعر في هذا البيت بصدد التوسل، فهو يُلَحُّ في دُعاءه لطلب المغفرة من الله هز وجل والتخفيف عنه من عذاب القبر، عند انتقاله إلى الحياة الآخرة.

---

[1]- ديوان ابن الخلوف، ص317.

[2]- المصدر نفسه، 516.

[3]- المصدر نفسه، ص 509.

[4]- المصدر نفسه، ص314.

وقد استخدم الشاعر هذا المحسن البديعي ليجمع الكلمات المتنافرة في موضِع واحد مثل اليل والصباح والأرض والسماء، وتخفيف وتثقيل، ويبكي ويبتسم... فالكلمات المتنافرة أقدر من غيرها على تنشيط الفعالية الإدراكية مما تُثير في ذهن المتلقي الاندهاش، والاستغراب، والتساؤل.

ب. الجناس:

هو تشابه لفظين في النطق واختلافهما في المعنى، ويُقال له التجنيس والتجانس والمجانسة، ويعني في الاصطلاح البلاغي "أن يتفق اللفظان في وجه من الوجوه التي ستذكر بعد، مع اختلاف المعنى"[1].

ويُعرف أيضا بأنه "سُمي جناسًا لمجيئ حروف ألفاظه من جنس واحد ومادة واحدة، ولا يشترط تماثل جميع الحروف، بل يكفي في التماثل ما تقرب به المجانسة"[2].

والجناس قد يكون تامًا أو ناقصًا، و "الجناس التام عندما يتفق اللفظان في أربعة أشياء: نوع الحروف- عددها- هيئتها – ترتيبها"[3]. أما الجناس غير التام "عندما يختلف اللفظان المتجانسان في واحدة من الأشياء الأربعة السابقة: نوع الحروف، عددها، هيئتها، ترتيبها"[4].

وقد وظف الشاعر "ابن الخلوف" هذا اللون البديعي في بديعياته في مواضع كثيرة نذكر منها:[5]

دَعَاهُ فِي ليلةِ المعارج خالفه لحَضْرَةٍ حَضَرَتْ فيها السعادات

ورد الجناس بين لفظتي (حَضْرَةٍ، حضَرَتْ) فالملاحظ أ، الكلمتين متفقتين في الحروف، وعددها، وترتيبها، إلا أنهما يختلفان في المعنى، فالكلمة الأولى حَضَرَةً فهي تعود على الله سبحانه وتعالى (الحضرة الإلهية)، لأن حضرة الله تعالى يُريد محبوبًا له وهو الرسول المصطفى ﷺ حيث تجتمع فيه

[1]- عيسى علي عاكوب، المفضل في علوم البلاغة، ص 632.

[2]- علي الجندي، من الجناس (بلاغة، أدب، نقد)، دار الفكر العربي، ت 40045، ص 3.

[3]- عيسى علي العاكوب، المرجع السابق، ص 632.

[4]- المرجع نفسه، ص 635.

[5]- ديوان ابن مخلوف، ص328.

كل صفات الجمال، ولما دعاه في ليلة المعراج، حضرت السعادات وهي الكلمة الثانية والمقصود بها ما تمَّ وتحقق تكليفه في تلك الليلة كالصلاة مثلا.

ومن أمثلة الجناس التام أيضا، قول الشاعر: [1]

وأْنصُرْهُ نَصرًا عزيزًا يا عَزِيزِ ولا تِكلْهُ طُرفَة عينٍ، واعْلُ مرقاهُ

من خلال دعاء الشاعر لرسول الله بالفوز والنصر على الأعداء، وظف الجناس التام بين لفظتي (عزيزًا، يا عزيز)، فالأولى مقصود بها النصر العظيم، وأما الثانية، فهو اسم من أسماء الله الحسنى (العزيز)، وهو الله سبحانه وتعالى.

كما استخدم الشاعر "ابن الخلوف" التجنيس الناقص وهذا ما نلمحه من خلال قوله: [2]

ذوا الجُودِ والبأسِ في يومِي ندّى وردّى فالصُحْبُ نَرْجُوه والأعداءُ تَخْشَاه

فقد ورد في الكلمتين (نَدَّى ورَدَّى) فالاتفاق في الهيئة، وعدد الحروف، ونوعها، أما الاختلاف في المعنى وفي الحرف الأول من الكلمة، فالأولى بمعنى الجود والكرم، وأما الثانية فهي بمعنى السقوط والهلاك ومن أمثلته قوله أيضا:[3]

أنا السّقيم الذي خانته صحتُه أنا المقيم على الحرف الذي انخسفا

ونلمحه من خلال كلمتي (السقيم- المقيم)، فالاختلاف بينهما يكون في المعنى بحيث أن الأولى بمعنى المرض والعلة، أما الثانية فهي مكان إقامة الإنسان، ومكانه غير أنهما تتفقان في الحروف وعددها وهيئتها، كما وردت أيضا من خلال لفظتي (كَرّاتْ – فرَّاتْ) في البيت التالي: [4]

وللواحظ كرات يَفرُّ لَهَا كذلك الحرب كَرّات وفَرّات

---

[1]- ديوان ابن الخلوف، ص 354.

[2]- المصدر نفسه، ص 348.

[3]- المصدر نفسه، ص 357.

[4]- المصدر نفسه، ص 315.

فقد ورد التجنيس بشكل كبير في بديعية "ابن الخلوف" لما له من جمالية، فهو يُعيد على ذهن المتلقي الصورة اللفظية نفسها مع اختلاف في الدلالة، فتحصل الفائدة من حيث لا تتوقع بإحداث تلك النغمة الموسيقية المطربة للأذُنِ

ج. الموازنة والمماثلة:

الموازنة "أن تكون الفاصلتان متساويتين في الوزن دون الثقفية، والمراد بالفاصلتين، الكلمتان الأخيرتان من الفقرتين أو المصارعين"[1].

ويعرفها "ابن اثير" موضحًا علاقتها بالسجع في قوله: "وهذا النوع من الكلام أخو السجع في المعادلة دون المماثلة، لأن السجع اعتدالا وزيادة على الاعتدال الموجود في السجع ، ولا تماثل في فواصلها فيقال إذا: كل سجع موازنة وليس كل موازنة سجعًا، وعلى هذا فالسجع أخص من الموازنة"[2].

"وإذا كان ما في احدى القرينتين من الألفاظ أو أكثر ما فيها مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن خص باسم المماثلة"[3].

من أمثلة الموازنة الواردة في "ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين"، قول الشاعر: [4]

وكَحّل بالياقوت جَفْنَا وناظرًا وخصَّب بالحناء كفًا ومعصمَا

فالموازنة في البيت تمت بين (كَحّلَ، خَصَّبَ) وبين (ناظرًا ومعصمًا)، فكلٌ من الكلمات السابقة متساوية في الوزن لا في الثقفية، فمثلا في كحّل وخصّب فهما متفقتين في الوزن إلا أنهما مختلفتان في الثقفية فالأولى على اللام، والثانية على الباء.

أما المماثلة فقد وردت بصورة كبيرة عند الشاعر، ومن أمثلتها: [5]

---

[1]- عائشة حسين فريد، وشي الربيع بألوان البديع، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، عبده عزيب، ص 212.

[2]- محمود أحمد حسين المراعي، علم البديع، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ- 1991م، ص134.

[3]- عائشة حسين فريد، وشي الربيع بألوان البديع، ص 212.

[4]- ديوان ابن الخلوف، ص 371.

[5]- المصدر نفسه، ص 360.

فهو الشفيعُ الوجيهُ، المرتضَى كرمًا وهو الحَبيبُ الخليلُ، المصطفى شرفًا

فالشفيع في القرينة الأولى موازنة للحبيب في القرينة الثانية والوجيه موازنة للخليل وكذا المرتضى في القرينة الأولى موازنة للمصطفى في القرينة الثانية، وكرمًا لشرفًا، وكذلك وردت في قوله: [1]

وَكَمْ غَدوْتُ لوجه البسطِ مُجتليًا كَمَا سَعَيْتُ لزهرِ الأُنس مُقتطفًا

فإن غدوتٌ موازنة لسعيت من الشطر الثاني، ووجه البسط من الشطر الأول موازنة لزهر الأنس من الشطر الثاني، ومجتليا مع مقتطفًا.

فكل لفظ من الشطر الأول موازنة ولما يقابله من الشطر الثاني.

وقد أحسن الشاعر في استعمال هذين اللونين البديعيين، حيث أضفى على مدحه للرسول الكريم ﷺ جملاً وبهاءً، مما حقق بهما اعتدلاً في الكلام، لأن مقاطع الكلام إذا كانت معتدلة وقعت من النفس وقع الاستحسان.

د. الترديد:

الترديد عن البلاغين، "هو أن يُعلق المتكلم اللفظة بمعنى من المعاني ثم يُرددها بعينها، ويعلقها بمعنى آخر، فيحسن الوصف ويعجب التأليف"[2].

ويقول "أسامة بن منقذ": "اعْلَمْ أن الترديد هو ردُّ اعجاز البيوت على صدورها، أو تَردُ كلمةٌ من النصف الأول في النصف الثاني"[3].

وقد ورد التردد في مواضع كثيرة من الديوان، فنجد الشاعر يردد الكلمة أكثر من مرة، ولكن بمعاني مختلفة، وإنْ دَلَّ ذلك على شيء فإنه يَدُلُ على سيطرة ذلك العنصر على فكر الشاعر وشعوره، على نحو قوله: [4]

---

[1]- ديوان ابن الخلوف، 358.

[2]- عبد الواحد حسن الشيخ، البديع والتوازي، مكتبة ومطبعة الاشعاع الفنية، ط1، مصر ، 1419هـ- 1999، ص 52.

[3]- يحي بن المعطي، البديع في علم البديع، تحقيق ودراسة محمد مصطفى أبو شوارب، ط1، الكويت، 2014، ص 213.

[4]- ديوان ابن الخلوف، ص 322.

رَاحٌ تُريح من الآلامَ نَشْأَتها كَأَنّها هي الأرواحِ راحَاتُ

فقد ردد الشاعر كلمة (الراح) أكثر من مرة، فنجده قد تكررت في الشطر الثاني، وعلقت بمعنى آخر (راحات) وهي الطمأنينة والهدوء، أما (الراح) الأولى فهي الخمرة التي تريح الشاعر من آلام الفراق، والبعد، والشوق لرؤية حبيبه المصطفى، فهي روحه وحياته، وقد عمد الشاعر على تكرارها حيث أعطت للقصيدة بُعدًا روحيا تسمى بها في عوالم الروح.

ويقول الشاعر أيضا [1] مستثمرا طاقة الترديد في مدحه للرسول الكريم:

وهُوَ الكريمُ على الله الكريمِ فمَّا شِئتُم فَقُولوا إذا أظْبْتُم، قُولوا

فالشاعر قد ردد كلمة (الكريم) مرتين في الشطر الأول من البيت وقد استعمل صفة الكرم لكنه خصّ بها في الكلمة الأولى خير الأنام محمد ﷺ، أما الكريم الثانية فهي من صفات الله تعالى، واسمٌ من أسمائه الحُسنى، وقد عمد الشاعر إلى تكرار لفظة (الكريم) لما لها من وقع صوتي في تحسين اللفظ، وتأكيد دلالته.

هـ. العكس والتبديل:

"هو أن نقدم في الكلام جزءً ثم نعكس فتقدم ما أخرت وتؤخر ما قدمت"[2]، ويسميه "ابن الأثير" بالمعكوس أو بالتبديل ويدرسه ضمن الجناس، إذ يراه مشبهًا بالتجنيس، غير أنه يصوب رأي "قدامة بن جعفر" في تسميته بالتبديل، وكما هو عليه جمهور البلاغيين في تلك التسمية، ولذا قال "ابن الأثير" عنها "وذلك مناسب لمسماه، لأن مؤلف الكلام يأتي بما كان مقدما في جزء كلامه الأول مؤخرًا في الثاني، وبما كان مؤخرا في الأول مقدما في الثاني" وهذا الذي استوصبه، ومال إليه هو نفسه قريب جدا من تعريف البلاغيين له، فهو أن يقدم تفي الكلام جزء ثم يؤخر أي هذا الجزء الذي تقدم"[3].

---

[1]- ديوان ابن الخلوف، ص 156.

[2]- عائشة حسين فريد، وشى الربيع بألوان البديع في ضوء الأساليب العربية، ص 66.

[3]- عبد الواحد حسن الشيخ، دراسات في البلاغة عند ضياء الدين بن الأثير، كلية التربية، جامعة الاسكندرية، (د.ط)، 1976، ص 212.

وقد ورد هذا اللون البديعي في ديوان الشاعر "ابن الخلوف" في مثل قوله: [1]

تَسَلْسَلَ مَدحي في غريبِ حديثهِ فصّح به أنّ الحديثَ غريبُ

فالعكس ورد بين طرفي الشطرين من البيت السابق، فقدم الشاعر كلمة غريب على حديث، ووردت مضاف إليه مجرور، أما في الشطر الثاني فقد قدم الحديث وأخر غريب، ووردت خبر أنّ مرفوع، وبتوظيف مثل هذا اللون البديعي لدى الشاعر، فإنما يدل على الطاقة التعبيرية العالية الألفاظ لديه، في مدح رسول الله ﷺ، كما ينبئ على قدرته على تقديم أكبر قدر من الدلالة باستخدامه له فيقول أيضا:[2]

نورٌ الجلالِ جلالٍ النورٌ طينته يَا كَمْ سقتها من النسيم فيضات

أما العكس هنا فقد ورد بين طرفي الشطر الأول من البيت (فالنور) مبتدأ وهو أحد طرفين في الجملة، و(الجلال) مضاف إليه، ثم عكس الكلام، وقدم جلال على النور أي قدم المضاف إليه على المبتدأ، فجمالية هذا الفن تساعد على جلاء الفكر وتصوير دقائق المعاني وتعميقها، كما يجعل السامع "يتشوق لعكس المعنى وتبديله، مما يضفي عليه جدة وطرافة"[3].

و. **التصريع:**

يعرفه ابن الأثير بأنه: "-أي التصريع- في الشعر بمنزلة السجع في الفصلين من الكلام المنثّور، وفائدته في الشعر، أنّه قبل كمال البيت الأول من القصيدة تعلم قافيتها، وتشبه البيت المصرع بباب له مصرعان متشاكلان"[4]. وعلى عادته يفضل ما جاء منه عفوًا غير متكلف وما كان منه قليلا فيكون كالغرة في الوجه، أو كالطراز من الثوب، لأن الكثرة لا تكون مرضية لأنها تأتي عن تكلف حيث نجد في البيت الأول من القصيدة، ويعطي دائما نغمة موسيقية للقصيدة لتزيدها عذوبة وجمالا

[1]- ديوان ابن الخلوف، ص 458.

[2]- المصدر نفسه، ص 326.

[3]- عائشة حسين فريد، وشي الربيع بألوان البديع، ص 69.

[4]- ضياء الدين بن الأثير، دراسات في البلاغة، ص 225.

ويتجلى هذا اللون في مطلع قصائد "ابن الخلوف" حيث أكسبها إيقاعا داخليا وخارجيا بهيا وهو ما نجده في قوله:[1]

صَلَ سَعي، وَمَا اهْتَدَيْتْ سَبِيلاَ كَيْفَ أهْدي، وما اتَبَعَتُ دليلا

في هذا البيت نجد التصريع واضحا بين لفظتي (سبيلا، دليلا) فهاتان اللفظتان توحيان بوقع خاص يؤثر في النفس ويقرع الأسماع.

يفتتح الشاعر قصيدته في موضع آخر من الديوان يقول: [2]

اللهُ أكبرُ حَسْب العبد مَوْلاَهُ إنَّ الذِي قَدْ سَمِعْنَاه شَهِدْنَاهُ

فالتصريع واضح بين اللفظي (مولاه، شهدناه) وباستخدام الشاعر لهذا اللون البديعي يكون قد أضاف نغمًا موسيقيًا، بالإضافة إلى أن القارئ قبل اكمال قراءة البيت الأول من القصيدة، فسيعلم ويتيقنُ لقافيتها، وهذا يدل على قدرة الشاعر.

ويقول الشاعر في مطلع قصيدة "تحفة اللبيب وسلوة الكئيب"[3].

هَبَتْ رِيَاحٌ الشَّوقُ بَيْنَ الأضْلُعِ فَجَرَّت بِأُفُق الخَدِّ سَحَب الأَدْمُعِ

فالتصريع بين (الأضْلُع، الأدمُعِ) استخدمه الشاعر في وصف شوقه لمقام الطاهر، حيث جمع بين شرف وقداسة المعنى ببراعة اللفظ وجزالته.

فالتصريع له أهمية كبيرة في أوائل القصائد، علاوة على أنه لابد من الاهتمام بالمعاني على حساب الأشكال، فغرضه دائما إعطاء نغمة موسيقية للقصيدة، كما يلفت انتباه القارئ مما يجعله يتابع القراءة، وهو ما أضفى على البديعية جرسًا موسيقيا عذبا، كما ساهم في إظهار جمالها أيضا في البناء التشكيلي للقصيدة.

---

[1]- ديوان ابن الخلوف، ص121.

[2]- المصدر نفسه، ص 343.

[3]- المصدر نفسه، ص277.

ز. **الترصيع:**

اعتبره ابن الأثير "قسما قائما برأسه، وعده القزويني نوعا من أنواع السجع، فجعله ثالث الثلاثة، المطرف، المتوازي، والترصيع، وإن كان تعريفهما واحد، فهو عند ابن الأثير (أن تكون كل لفظة من ألفاظ الفصل الأول مساوية لكل لفظ من ألفاظ الفصل الثاني في (الوزن والقافية)".[1]

أما يحي بن معطي فقد عرفه "هو أن يكون السّجع الذي في إحدى الشطرتين أو الجملتين أو أكثر مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن والتوافق على الحرف الأخير، بحيث يبلغ الإيقاع الصوتي داخل البيت أقصى مدى ممكن"[2]

وقد وردت هذه الظاهرة في بديعيات "ابن الخلوف" من خلال قوله: [3]

شرفًا كاملا، وفضلا بسيطا وندى وافرًا، وفخرًا طويلاً

ينتج عن تقارب الألفاظ وتوافقها نغم وجرس قويين، فهو يجذب الأسماع والعقول، وتتجلى فيه مهارة نظم الكلمات وبراعة ترتيبها وتنسيقها مع المحافظة على المعاني الواضحة الجلية مهما اختلفت أصنافه وتعددت طرقه فهو يجمعها في بيت واحد مراعيا حسن الجرس ووقع الألفاظ في الأسماع ومدى تأثيرها في المتلقي.

يقول الشاعر "ابن الخلوف القسنطيني" في قصيدة "الدر النظيم في السّر العظيم": [4]

خَلِيلٌ، حَبِيبٌ، هَاشمِيٌ، مُرفَّعُ رسولٌ، نبيٌ، زمزميٌ، مُكرَّمُ

[1]- ضياء الدين بن الأثير، دراسات في البلاغة، ص288.

[2]- يحي بن معطي، البديع في علم البديع، ص169.

[3]- ديوان ابن الخلوف، ص133.

[4]- المصدر نفسه، ص235.

فالشاعر استخدم هذا اللون البديعي من خلال ذكر خصال النبي الحميدة، فجاءت مفردات الشطر الأول مُناسبة مع مفردات الشطر الثاني في الوزن والتقفية (فخليل مناسبة مع حبيب)، و(هاشمي مع زمزميٌ) و(مُرفّعُ مع مُكَرَّمُ)

إن هذا اللون البديعي هو فنٌ راقٍ يهتم بالأشكال دون إهمال المعاني إنّه أشبه بالخيال تتوافق فيه المفردات مع المعاني مشكلة نغما موسيقيا جذابا.

نستنتج من كل ما سبق أن بديعيات "ابن الخلوف" غنية بالمحسنات البديعية اللفظية، والمعنوية واختيارنا لهذه النماذج هو على سبيل التمثيل لا الحصر فإلى جانب هذه الفنون هناك ألوان كالتسميط، ورد العجز على الصدر وغيرها ...، وهذه الألوان الفنية إن ارتبطت بشكل القصيدة ومضمونها، فإنها توحي بمعانٍ ودلالات عميقة، كما يتبين أن هناك ارتباطا وثيقا بين الشكل والمضمون داخل البيت، وهو ما زاد البديعية جمالا ورونقا.

2. البيان:

البيان لغة: الكشف، والإيضاح، والظهور، قال سبحانه وتعالى في وصف القرآن الكريم: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾[1] ويقول أيضا: ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[2]، أما البيان في الاصطلاح البلاغي هو: "علم يُعرف به إيرادُ المعنى الواحد في طرق وتراكيب مختلفة في وضوح الدلالة عليه"[3]

فعلم البيان هو العلم الذي يعالج مسائل البيان بواسطة الألفاظ، "فعلم البيان يعنى بإيراد المعنى الواحد بطرق وتراكيب متباينة في الوضوح والدلالة على هذا المعنى، فربما اعتقد المتكلم أن طريقا أفضل، وأوضح من طريق الدلالة على المعنى الذي يدور بخُلده، ومن ثم يعبر بطرق مختلفة، فأحيانا

[1]- سورة آل عمران، الآية، 138.

[2]- سورة الرحمان، الآية 4.

[3]- عيسى علي العاكوب، المفصل في علوم البلاغة العربية (المعاني، البيان، البديع)، ص349.

يعمد إلى التشبيه، فيشبه الشيء الغامض بالشيء الواضح، وأحيانا يتوجه ناحية المجاز لأداء ذلك المعنى، وقد يلجأ إلى الكناية وربما استخدم الاستعارة، وهذه الطرق كلها توصل إلى ما يرمي إليه، وما يهدف ومدار الأمر كله في هذه الطرق أن يسخر المجاز، فهو القاسم المشترك الأعظم بين هذه الطرق، بل هو الرابط بينهما وبين المعنى الحقيقي الذي دار بخلد المتكلم طالما كان سليم الذوق جيد الطبع"[1]

ومن خلال تصفحنا لديوان "جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين"، لاحظنا أنّه يزخر بالعديد من الصور الفنية على الرغم من انتمائها لعلم البيان، إلا أن الشاعر "ابن الخلوف" لم يستغن عنها، واعتبرها من فنون البديع، وتتمثل هذه الصور البيانية في:

أ- الاستعارة:

"هي الكلمة المستعملة في غير معناها الوضعي لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعي"[2] وعرّفها ابن الأثير، فقال: "الاستعارة جمع بين شيئين بمعنى مشترك بينهما، فيكسب بيان أحدهما بالآخر"[3]

"وجوهر الاستعارة: أنها تشبيه حُذف أحد طرفيه، ووجه شبهه وأداته، وهي أبلغ من التشبيه، لقوة ادعاء الاتحاد والامتزاج بين المشبه والمشبه به، إلى حد زعم أنهما صارَا معنى واحدًا، يستعمل فيه لفظٌ واحد"[4]، وتنقسم الاستعارة إلى قسمين استعارة مكنية، واستعارة تصريحية، ومن أمثلتها في ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين قول الشاعر: [5]

وأرْسَلَهُ بالحَقِّ للخُلقِ دَاعِيًا فَزَلْزَلَ أَرْكَان الضّلالِ وهَدّها

---

[1]- المرجع السابق، ص349.

[2]- عبد الواحد حسن الشيخ، دراسات في البلاغة عند ضياء الدين ابن الأثير، ص149.

[3]- عيسى علي عاكوب، المفصل في علوم البلاغة، ص452.

[4]- المرجع نفسه، ص168.

[5]- ديوان ابن الخلوف، ص390.

فالله سبحانه وتعالى أرسل نبيه المصطفى لعباده، لهدايتهم عن طريق اتباع الحق، والابتعاد عن الضلال، فشبه أركان الضلال بـ (الأرض)، فحذف المشبه به وهو (الأرض) وأبقى على أحد لوازمه وهي (زلزل) على سبيل الاستعارة المكنية، والاستعارة المكنية هي التي حُذف فيها المشبه به وبقيت صفة من صفاته ترمز إليه، ويقول أيضا: [1]

مُتَيّم لوْ نَرَاه السَّقْم ثم وَفِي مِنْكُم سَلَام لَوافته السَلَامات

فالشاعر شبه السقم بالإنسان الذي يرى، فحذف المشبه به وهو (الإنسان) وأبقى على أحد لوازمه وهي (لو يراه) على سبيل الاستعارة المكنية.

بالإضافة إلى الاستعارة المكنية نجد أيضا توظيف الاستعارة التصريحية والتي يُصرح فيها بلفظ المشبه به، وهي من أفضل أساليب التعبير عن الحالة النفسية للشاعر وعن عاطفة الحب والتقدير والإجلال تجاه رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، وقد وردت في قول شاعرنا: [2]

يَسعى إلى الحرب طوعًا غير مكترثٍ إنْ أَمطرت بالمنايا سحب أرجاه

فالشاعر شبه المطر بالمنايا، فالسحب تمطر مطرًا أو غيثًا ولا تمطر بالمنايا فحذف المشبه وهو المطر، وصرح بالمشبه به وهو المنايا، وهي استعارة تصريحية، ويقول في موضع آخر موظفا طاقة هذه الاستعارة في التعبير: [3]

فلم أَرَ بدرًا مُسرجًا بهلاله سواه، وبرقًا بالثُريا مُلجَمَا

فالشاعر عمد إلى توظيف الاستعارة لما لها من روعة في التقدير، والرفع من منزلة النبي على بقية الخَلقِ، فجاء بمعنى الإضاءة، والإنارة، والسّطوع، فقد شبه الرسول صلى الله عليه وسلم بالبدر الذي سيضاء به في عتمة الليل، فحذف المشبه وهو الرسول الكريم، وصرّح بالمشبّه به وهو البدر، وبهذا

[1]- ديوان ابن الخلوف، ص321.

[2]- المصدر نفسه، ص350.

[3]- المصدر نفسه، ص374.

التشبيه أعطى لكلامه قوة ورونقا، مما اكتسى حلّة، وبهاء، خاصّة وأنّه بصدد مدح خير الأنام، وهي بذلك تُواءم موضوع البديعيات ألا وهو مدح سيد البشر والكون، وأشرف المخلوقات صلى الله عليه وسلم.

ب- التشبيه:

لم يقتصر البلاغيون في بيان منزلة التشبيه، وما له من أثر في رفع شأن الكلام، وفتح باب القول أمام أضواء الصّدور، فهو أشبه بوسائل الوضوح، وتسهيل مع عثر في الفهم، وتثبيت معانيها داخل الذهن من أجل الوصول إلى الهدف المراد، وهو غاية التشبيه، فهو عقد مقارنة بين طرفين أو شيئين يشتركان في صفة واحدة، ويزيد أحدهما على الآخر في هذه الصّفة، باستخدام أداة التشبيه، وقد عرّفه الدكتور عيسى علي العاكوب أيضا أنه: "الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى بإحدى أدوات التشبيه لفظا وتقديرا، لغرض يقصده المتكلم"[1] وأركان التشبيه أربعة هي: المشبه، والمشبه به، ويسميان طرفي التشبيه، ووجه الشبه، ويجب أن يكون أقوى وأظهر في المشبه به منه في المشبه. [2]

وقد وظف "ابن الخلوف" التشبيه بشكل واضح في بديعياته ويتجلّى ذلك في قوله: [3]

يقود جَيْشًا كَأسْد غَابٍ على جيادٍ كريح عادٍ

نجد الشاعر في هذا البيت قد شبه الرّسول صلى الله عليه وسلم بالأسد الذي تميّز بشجاعته في الحروب وغزواته العظيمة فهو تشبيها مُجْمَلاً حذف منه وجه الشبه وذكر باقي الأركان والذي يضيف دائما للمعنى وضوحا وجمالا.

كما نجد التشبيه أيضا حاضرا في مثل قول الشاعر: [4]

أنْشَأَه مَوْلاهُ مِن نورٍ، وقدّمه كأنّه غُرَّةٌ، والخَلْق تَحْجيل

---

[1]- عيسى علي العاكوب: المفصل في علوم البلاغة العربية (المعاني، البيان، البديع)، ص335.

[2]- علي الجازم ومصطفى الأمين، البلاغة الواضحة (البيان، المعاني، البديع)، دار العارف، (د، ط)، (د، ت)، ص20.

[3]- ديوان ابن الخلوف، ص435.

[4]- المصدر نفسه، ص143.

حيث شبه ابن الخلوف الرسول الكريم (عليه أفضل الصلاة والسلام) بالغرة والتي يراد بها بياض الوجه، فذكر المشبه والمشبه به وأداة التشبيه، وحذف وجه الشبه، وهو ما يعرف أيضا بالتشبيه المجمل، الذي له روعة وجمالٌ، فهو يزيد المعنى رفعة ووضوحًا، كما أنّه فن واسع النطاق، فسيح الخطو، ممتد الحواشي، ومتشبع الأطراف.

كما نجد أيضا الشاعر قد استعمل التشبيه في موضع آخر حيث يقول: [1]

أضنْتَ الحَبيبُ، فَقُل أَسْمع، وَسَل لتَنَل واشْفَع، فعِنْدي أَنْتَ مَقْبُول

فاستعماله للتشبيه لم يكن مقتصرًا على نوع واحد بل تعداه إلى تشبيه آخر وهو التشبيه البليغ الذي تحذف منه أداة التشبيه ووجه الشبه، ويذكر فيه الطرفان الأساسيان المشبه والمشبه به، فالشاعر هنا وظفه ليعبر عن شدة حبه وتعلقه بالرسول الحبيب (صلى الله عليه وسلم)، وهو ما يوحي إلى التطابق والاتحاد بينهما (المشبه والمشبه به).

وقوله أيضا في موضع آخر:[2]

كَسَتْهُ رَوْنَقَهَا شَمسُ الضُحى فَزَهَا كأَنَّه جَدْوَلُ في الرّوضِ مَصْقولُ

نوّع "ابن الخلوف" في توظيفه للتشبيه حتى يزيد المعنى جمالا وبهاءً، لذلك نجده أَبْدَعَ وأَسْرَف في إيراده لهذا اللون البديعي، حيث وظّف في هذا البيت تشبيها تمثيليًا، وهو ما كان وجه الشبه صورة منتزعة من متعدد أمرين أو أمور وبالتالي فالمشبه هو الرّسول، والمشبه به هو الجدول، بالإضافة إلى أداة التشبيه ووجه الشبه صورة شيء جميل ينعكس جماله في الرّوض التي هي مكان تكثر خضرته وماؤه، فاستخدام الشاعر في هذا البيت للتشبيه التمثيلي كان غرضه إبراز قدرته على تصوير المشاهد الجميلة وتخيّل الصورة الحية مما أضفى على البيت حسنا وروعة، ورونقًا ووضوحًا.

لذلك اكتسى التشبيه بصوره المختلفة حلّة بديعية في بديعيات شاعرنا، فزادها جمالا، وإثارة.

---

[1]- ديوان ابن الخلوف، ص158.

[2]- المصدر نفسه، ص155.

ج- الكناية:

عرّف البلاغيون الكناية أنها تعبير لا يقصد به المعنى الحقيقي، وإنّما يقصد به معنى ملازم للمعنى الحقيقي، حيث عبر عنها ضياء الدين ابن الأثير أنها: "استخدام لفظ ويراد به لازم معناه الحقيقي لقرينة غير مانعة من إرادة المعنى الحقيقي مع المعنى المراد"[1]

وفي موضع آخر عبر عنها الدّكتور عيسى العاكوب بأنها "لفظ أريد به لازم معناه الوضعي مع جواز إرادة ذلك المعنى مع لازمه"[2]

وتنقسم الكناية من حيث الشيء المدلول عليه (المكنى عنه) إلى ثلاثة أقسام: (الكناية التي يراد بها صفة، الكناية التي يراد بها موصوف، الكناية التي يراد بها عن نسبة)[3]، والهدف من استعمال الكناية هو الوقوف على الحقيقة المدعومة بالبرهان، أو إبراز المعنى في صورة حسية، أو أداء المعنى بألفاظ لإدمجها الذوق ولا ينفر منها السمع. [4]

وتتجلى الكناية في بديعيات "ابن الخلوف" في مثل قوله: [5]

وباسْمِه فَازَ ذُو النُونِ التقي ونجَا مِنْ بَطْنِ حوتٍ لَهُ في البَحْرِ تَوْغِيلُ

في هذا البيت قصد الشاعر نبيّنا يونس عليه السلام الذي سمي بصاحب الحوت، حيث كانت معجزة من معجزات الله أنه بقي حيًا، ونجى على الرغم من التقام الحوت له، ومن شدة التسبيح أنقذه الله من ظلمات الليل وبطن الحوت، وهي كناية عن موصوف اختصت بالمكنى عنه الذي هو سيدنا يونس من خلال لفظة (ذو النون، بطن الحوت).

---

[1]- ضياء الدين بن الأثير: دراسات في البلاغة، ص174.

[2]- عيسى علي العاكوب: المفصل في علوم البلاغة، ص535.

[3]- المرجع نفسه، ص537.

[4]- ضياء الدين بن الأثير: دراسات في البلاغة، ص175.

[5]- ديوان ابن الخلوف، ص145.

وقد وظف الشاعر الكناية في عدة مواضع من بديعياته، منها قوله: [1]

وللذبِيحِ بِهِ فَوْزٌ، وتَكْرُمَةٍ كمَا لإسْحاقُ مِنْ جَداول تحصيل

فهو في هذا البيت يتغنى بالذبيح العظيم ابن النبي إبراهيم عليه السلام وهي كناية عن موصوف، ويقصد بها نبيّ الله إسماعيل عليه السلام الذي خصّه عن غيره من الأنبياء، وأكرمه بذبح عظيم، فلفظة الذبيح هي كناية عن إسماعيل عليه السلام.

ونجدها في قوله أيضا: [2]

ونال الأَسْباطُ منه كُلّ مُنقبة بهَا لِموسى كليمُ الله تَكميلُ

فقد استخدم ابن الخلوف لفظة "الأسباط" في صدر البيت وهي كناية عن أولاد إسرائيل يعقوب عليه السلام، ويقصد بها الشاعر أولاده الاثني عشر، الذين ألقوا بأخوهم يوسف في البئر من شدة غيرتهم، وحسدهم، وكيدهم له، فتوظيف "ابن الخلوف" للكناية كان غرضه تأكيد المعنى وتقديره وإثباته من الوجهة التي تبعث طمأنينة النفس وابتهاج العقل.

إذن فالكناية هي إحدى طرائق التعبير التي اهتدى إليها الإنسان لتوصيل انفعاله بالأشياء إلى الآخرين، فقد استعملها "ابن الخلوف" في بديعياته ليزيّن بها كلامه، وليحظى بتأثير كبير على نفوس المتلقين، وحتى يزيد جمال الأسلوب الكنائي وبلاغته في البديعية، وفي تبليغ مضامينها بطريقة مؤثرة فنية.

[1]- ديوان ابن الخلوف، ص141.

[2]- المصدر نفسه، ص144.

ملحق

1- التعريف بالشاعر ابن الخلوف القسنطيني:

هو أحمد بن عبد الرّحمان بن محمد، بن عبد الرّحمان، بن محمد بن عبد الرّحمان، بن محمد بن عبد الرحمان الشهابى أبو عباس بن أبي قاسم الحميري الفاسي الأصل، قسنطيني المولد، التونسي الدّار.

وهو شاعر، أديب، ناثر، أصل عائلته من فاس بالمغرب الأقصى، ولد بقسنطينة، وذهب به والده صبيا إلى الحجاز، وأقام بها أربع سنين، ثم تحول إلى بيت المقدس فحفظ القرآن.

2- نشأته وتعليمه:

بعد ولادته في قسنطينة في الثالث من محرم سنة 829هـ/1425م، رحل به والده الذي كان فقيها متمكنا إلى مكة المكرمة، حيث نزل بها أربع سنوات، ثم انتقل إلى بيت المقدس ليتخذها دار المقام والاستقرار، حتى وافاه الأجل.

شدّ شاعرنا رحلته في اتجاه القاهرة ثم تونس، حيث استقر نهائيا، وأثناء وجوده ببيت المقدس حفظ القرآن الكريم، وكتب جمة في فنون مختلفة، ومن الذين لازمهم "ابن الخلوف" أبو القاسم النويري في الفقه والعربية والأصول وغيرها، كما أخذ عن الشهاب بن أرسلان، والعز القدسي إلى جانب مشايخ آخرين.

بعد مغادرة القاهرة في المرة الأولى متجها إلى تونس سنة 864هـ، اتصل بخدمة المسعود بالله محمد بن عثمان صاحب تونس وامتدحه، فقربه إليه وأدناه، واختص به وجعله كاتبه، ثم عارض أحمد الخلوف محمد بن عثمان حين قدِم على المسعود وجعله كاتبا وبقي يعِض كل من صاحبه.

بلغ الشاعر مراده في ميادين المعرفة، وهذا ما أثبته في ديوان جنى الجنتين المعروف بديوان الاسلام، وخاصة ما تعلق بالشعر والنثر، حيث يقول: "كنت ممن ولع بعصفوري النظم والنثر في الصّبا، مُقتطفًا لزهرتيهما من رياض الآداب، مُلتقطًا لدريهما من أصداف صدور الطلاب، لا أسلك واديًا لم تترنم فيه حَمامها، ولا أعكف على حديقة لم تمطر فيها غمامها، ولا أرقب سماء لم تلحق فيها

زواهرهما، ولا أخوض بحرًا لم تتكون فيه جواهرهما إلى أن ظفرت من المطلوب بأوفى نَصيبٍ واحتويت من كنانتهما على كل سهم مصيب ...".

3- آثاره:

للشاعر شهاب ابن الخلوف القسطيني تآليف منها:

- (تحرير الميزان لتصحيح الأوزان) في فن العروض.
- مواهب البديع في علم البديع) وهي بديعية ميمية له عليها شرح حسن.
- (جامع الأقوال في صيغ الأفعال) وهي أرجوزة في تصريف الأفعال.
- كتاب (عمدة الفرائض) وهو علم الفرائض.
- (نظم المغني) في النحو.
- ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين المعروف بديوان الإسلام.

4- وفاته:

بعد عودة الشاعر ابن الخلوف القسنطيني إلى تونس، عاد إلى سابق عهده مع وليّ العهد المسعود خادما مخلصا لبني حفص إلى أن وافته المنية فقضى نحبه، ولأن السنوات الأخيرة من عمره لفّها الغموض فقد جثم الاختلاف على وفاته فتضاربت الآراء حولها –فعلى الرغم من صيته لم يتفق الدارسون بشأنها– "فالسّخاوي لم يشر إلى وفاته وعدم إشارته إلى ذلك يؤكد حياته إلى ما بعد 898هـ، أمّا غيره من المعاصرين له أمثال الزركشي وابن أبي دينار فلا يذكران تاريخ وفاته كذلك، الأمر الذي فتح المجال أمام المعاصرين من المؤرخين لوفاته، الأول هو سنة 899هـ، أي سنة هلاك السلطان أبي يحيى بالطاعون الذي يكون قد أهلك شاعرنا، والثاني هو سنة 910هـ، وهو رأي حسن حسني عبد الوهاب"، والمستشرق روبار برانشفيك، وما نطمئن إليه هو ما ذكره بعضهم عن حياة الشاعر كعبد الرحمان الجيلالي وهشام بوقمرة والدكتور العربي دحو، من أن وفاته كانت سنة 899هـ،

"لأنه لو كان الشاعر قد عاش بعد سنة 899هـ لوجدناه يكتب عن الأحداث المختلفة التي هزّت تونس وطن إقامته، وبقية الولايات والدولة الإسلامية الأخرى، وذلك ما لا يوجد في شعر الشاعر"

خاتمة

خاتمة

بعد رحلتنا مع الشاعر الجزائري "ابن الخلوف القسنطيني" في ديوانه "جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين" واستطلاع مضامين بديعياته، ونظامها البلاغي أسفر البحث في الموضوع عن مجموعة من النتائج، يمكن إيجازها في الآتي:

1. البديعيات فن جديد، وهي قصائد طويلة من بحر البسيط، في مدح رسول ﷺ، حيث يحتوي كل بيت منها على لون بديعي.
2. ارتبط ظهور البديعيات بالعصر المملوكي، حيث يعد القرنان الثامن والتاسع الهجريين أهم مرحلة في تاريخ النظم البديعي، وفيهما تطورت البديعيات وازدهرت.
3. ارتبطت البديعيات بالتصوف، هي فنٌ نشأ في البيئات الصوفية وهذا ما نلمسه من خلال توظيف الشاعر للعديد من الدلالات الصوفية في ألفاظه ومعانيه، والتي تزاحمت في ديوانه، وانبثقت من أعماق روحه، وهو ما أضفى على قصائده رونقا وجمالا وزادها بهاءً وطلاوة.
4. المديح النبوي فن أصيل صنع لنفسه مكانة وأهمية بين الشعراء، حيث اتخذه ابن الخلوف مجالاً للإشادة بالرسول ﷺ رمز الرقي والسمو الخلقي والأخلاقي، منبع الروح الإسلامية.
5. تعتبر المولديات أكثر أنواع المدائح النبوية شيوعا وانتشارًا والبديعيات هي نمط من أنماط المولدية، لكنها متفردة بما تحتويه من أشكال تعبيرية فائقة الجمال، حيث شكّل موضوع المديح النبوي حجر الأساس فيها خلافا للمولدية.
6. تنوعت البديعيات في مضمونها، فعلى الرغم من تعدد الأغراض، إلاّ أن المديح النبوي أخذ نصيبًا وافرًا في الديوان، حيث أن ابن الخلوف أسهب في مدح رسول الله، وتعداد صفاته، والتغني بشمائله، وحسن خلقه وخُلقه.
7. أعلام البديعيات كثيرون، فهي امتداد من العصور القديمة إلى عصرنا هذا، ويتجلى ذلك من خلال المؤلفات الكثيرة فيها، ويدُل ذللك على أهمية هذا الفن،، وتأثيره في الحياة الإسلامية.

8. جسدت بديعيات ابن الخلوف نظامًا بلاغيا، وصورًا جمالية فنية، لم يسبق وأن حققته بديعيات قبله، وهذا يعكس تفرد الشاعر الصانع، الحاذق لأدوات صناعته.
9. صدق عاطفة الشاعر وتأثره، وتشيعه، وتمسكه بالتعاليم الإسلامية، أضفى نقاءً على شعره، فكان مرآة لصفاء روحه، واستقامة بصيرته.

وفي الأخير لا يمكننا أن ندّعي أن بحثنا قد استوفى جميع شروطه أو أنه أحاط بالموضوع من كل جوانبه، وإنما نرجو أن يكون لبنة ثابتة لدراسات مستقبلية أخرى، وأن يحقق الفائدة والمنفعة المرجوة للطلبة والباحثين في مواضيع التصوف في الأدب الجزائري.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر

والمراجع

- **القرآن الكريم برواية ورش عن نافع**

- **المصادر**

- ابن الخلوف القسنطيني: ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين، تحقيق العربي دحو، دار الألمعية للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، ط3، 2014م.

- **المعاجم**

1- إبراهيم مصطفى حامد عبد القادر- أحمد حسن الزيات، محمد علي النجار، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، ج1، 1989.

2- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة العربية، تحقيق وضبط عبد السلام محمد الهارون، دار الفكر، بيروت، (لبنان)، ج1، ط1، 1979م.

3- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تح: مكتب تح التراث في المؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط8، 1426هـ، 2005م.

4- أبو القاسم محمود بن العمرين أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ج1، ط1، 1998م.

5- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، ج8، 1414هـ.

- **المراجع**

- ابن الفارض، ديوان ابن الفارض، دار صادر، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1234م
- ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، قرأه وشرحه محمود شاكر، دار المدين، جدة، د.ط، د.ت.
- أبي الفداء إسماعيل بن كثير، قصص الأنبياء، تح: مصطفى عبد الواحد، مكتبة طالب الجامعي، مكة المكرمة، العزيزية، ط3، 1408هـ- 1988م.

- أحمد موساوي، المولديات في الأدب الجزائري القديم، عهد تلمسان الزيانية، موفم للنشر، 2008، الجزائر.
- إميل ناصيف، أروع ما قيل في المديح، دار الجيل، بيروت، (لبنان)، ط1، 1992م.
- البوصري، ديوان البوصري، تحقيق ودراسة محمد سيد كيلاني، شركة مكتبة مصطفى الباجلي وأولاده، مصر، ط1، 1955م.
- تقي الدين أبي بكر (ابن حجة الحموي)، خزانة الأدب وغاية الأدب، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط1، 1987م.
- الحافظ جلال الدين السيوطي، الاوتقان في علوم القرآن، من إصدار وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والارشاد، المملكة العربية السعودية، ج1، د.ت، ص 347.
- رمضان صدق، شعر عمر بن الفاض، (دراسة اسلوبية) الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (د.ط)، 1998م.
- زكي مبارك، المدائح النبوية في الأدب العربي، منشورات المكتبة المصرية (صيدا)، بيروت، (د,ط)، (د.ت).
- سليمان حمودة، البلاغة العربية، دار المعارف، مصر، (د.ط)، (د.ت).
- شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، ط1، 1119م.
- صابر طعيمة، الصوفية معتقدا ومسلكا، عالم الكتب، الرياض، السعودية، ط2، 1985م.
- عائشة حسين فريد، وشي الربيع بألوان البديع في ضوء الأساليب العربية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، عبده غريب، 2000م.
- عبد العزيز عتيق، علم البديع، منشورات دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1980م.

- عبد الله حمادي، دراسات في الأدب المغربي القديم، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط1، 1986.
- عبد الواحد حسن الشيخ، دراسات في علم البديع، (د.ط)، 1990م – 2000م.
- علي أبو زيد، البديعيات في الأدب العربي نشأتها – تطورها- أثرها، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ-1983م.
- علي الجندي، فن الجناس (بلاغة، أدب، نقد)، دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد بمصر، 455450.
- عيسى علي العاكوب، المفصل في علوم البلاغة العربية (المعاني، البيان، البديع)، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة حلب، 1421هـ- 2000م.
- محمود أحمد حسين المراعني، علم البديع، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ-1991م.
- محمود رزق سليم، عصر سلاطين المماليك، ونتاجه الأدبي والعلمي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1965م.
- يحي بن المعطي، البديع في علم البديع، تحقيق ودراسة محمد مصطفى أبو شوارب، ط1، الكويت، 2014.

- **المذكرات**

- حميان عبد الرحمان، المديح النبوي في شعر سيدي لخضر بن خلوف، دراسة في الموضوعات والشكل، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في أعلام الشعر الشعبي الجزائري، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2010، 2011م.

- خداوي أسماء، البنى الأسلوبية في مولديات أبو حمو موسى الثاني، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة وهران.
- فطيمة بوترعة وندى هرباجي، جماليات المكان في شعر المولديات، مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر، لفطيمة ، جامعة قالمة.
- لخضر عيكوس، ظاهرة البديع في الشعر العربي (دراسة في المصطلح والوظيفة)، أطروحة دكتوراه الدولة، جامعة قسنطينة، 1995.
- نورة بن سعد الله، البديعيات النشأة والمضمون، ابن الخلوف أنموذجا، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة باتنة، 2007م-2008م.
- يمينة سعودي، المديح النبوي في الشعر الجزائري القديم، دراسة في المضامين والأشكال، أطروحة دكتوراه العلوم في الأدب العربي، جامعة البواقي، الجزائري، 2019م-2020م.

- **المجلات**

- العايش سعدوني، قراءة في فن البديعيات في النص الشعري المملوكي، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، مجلد12، العدد02، ، 2020.
- عبد الباسط ثابتي، جمالية التصوير في بديعية ابن جابر الأندلسي، مجلة أطراس، المجلد 12، العدد 2، 2020م.
- نورة بن سعد الله، البديعيات، مضمونها ونظامها البلاغي، بديعية ابن الخلوف أنموذجا، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية، العدد 32، جوان 2015.

ملخص

ملخص:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

قدمت هذه المذكرة من قبل الطالبتين حسني إلهام وبن عيش زينب وذلك من أجل نيل شهادة الماستر في الأدب الجزائري تحت عنوان: "البديعيات مضمونها ونظامها البلاغي- ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين لابن الخلوف القسنطيني (نماذج مختارة)

وقد جاءت المذكرة في فصلين مسبوقة بمقدمة وتتلوها خاتمة، بالنسبة للمقدمة فقد تم الحديث فيها عن أهمية الموضوع وسبب اختياره وخطة بحث محكمة.

اقتضى الفصل الأول المعنون بـ "البديعيات مفاهيم ومصطلحات"، وعلاقاتها بالتصوف، والمدائح النبوية، والمولديات، فضلا عن والمضامين التي يتغنى الشعراء فيها..

وبعدها الفصل الثاني المعنون بـ "البديعيات مضمونها ونظامها البلاغي ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين" لابن الخلوف القسنطيني (نماذج مختارة)، حيث نص البحث على دراسة في الأنظمة البلاغية.

وأخيرا الخاتمة التي جاءت كحوصلة لأهم النتائج المتوصل إليها من خلال الدّراسة لهذا الموضوع، تتلوها قائمة المصادر والمراجع وفهرس للموضوعات التي يتضمنها البحث، حتى يسهل على القارئ الوصول إلى مما يريد في وقت قصير.

summary:

Praise be to God, and may blessings and peace be upon the Messenger of God and upon his family and all his companions. As for what follows:

This memorandum was submitted by the two students, Hosni Ilham and Ben Aish Zeinab, in order to obtain a master's degree in Algerian literature under the title: "The Badiyyat, Its Content and Rhetorical System - The Diwan of Jana al-Jinnatain in Praise of Khair al-Furqatain by Ibn al-Khalouf al-Qasantini (selected examples) This memorandum came in two chapters, preceded by an introduction and followed by a conclusion. As for the introduction, it talked about the importance of the topic, the reason for choosing it, and a solid research plan. The first chapter, entitled "Innovative concepts and terminology," and their relationships to Sufism, prophetic praises, and Mawlidiyat, as well as the contents that poets sing about.. And then the second chapter, entitled "The Ingenuities, Their Content and Rhetorical System, The Diwan of Janna al-Janatain fi Praise of the Best of the Two Parties" by Ibn al-Khalouf al-Qasantini (selected models), where the research stipulates a study of rhetorical systems. Finally, the conclusion comes as a summary of the most important results reached through the study of this topic, followed by a list of sources and references and an index of the topics included in the research, so that it is easy for the reader to access what he wants in a short time.

البسملة ..... -
الشكر ..... -
الاهداء ..... -
مقدمة .....أ-ج

الفصل الأول: البديعيات مفاهيم ومصطلحات

تمهيد 05
1. البديعيات 06
أ. لغة 06
ب.اصطلاحا 08
2. البديعيات والتصوف 12
3. البديعيات والمدائح النبوية 16
4. البديعيات والموليديات 19
5. جذور البديعيات 22
6. مضمون البديعيات 26
7. أعلام البديعيات 28

الفصل الثاني: مضمون البديعيات ونظامها البلاغي في ديوان ابن الخلوف نماذج مختارة

تمهيد 35
أولا: مضامين البديعيات 36
1. براعة الاستهلال 36
2. مدح الرسول صلى الله عليه وسلم 45
3. الدعاء والتضرع 64
ثانيا: النظام البلاغي 67

1. البديع 67

أ. المطابقة 68

ب. الجناس 70

ج. الموازنة والمماثلة 72

د. الترديد 73

هـ. العكس والتديل 75

و. التصريع 76

ز. الترصيع 77

2. البيان 78

أ. الاستعارة 79

ب. التشبيه 81

ج. الكناية 83

خاتمة 86

قائمة المصادر والمراجع 90

ملخص 98

فهرس المحتويات ..... -